بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

معارك سيف الدولة مع الروم
في شعـر المتنبـي

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب :
بدر الدين أحمد عبد الحفيظ علي

إشراف الدكتور:
محمد أحمد حامد إسماعيل

مايو ٢٠١١م

شكر وعرفان

أقدم شكري وعرفاني لكل من أعانني بالرأي أو بالتشجيع على إعداد هذه الرسالة ، وأخص بالشكر الدكتور محمد أحمد حامد إسماعيل الذي تحمّل عبء الإشراف على هذه الرسالة ، فقدَّم لي المعلومات المفيدة وصحح ما فيها من أخطاء بلا كلل ولا ملل.

وأخص بالشكر أيضاً أعضاء لجنة المناقشة والتحكيم وهم: الدكتور محمد أحمد حامد إسماعيل الرئيس ، والبروفيسور بله عبد الله مدني المناقش الخارجي ، والدكتور أبو صباح علي الطيب المناقش الداخلي ، فأرجو الاستفادة من ملاحظاتهم ،والتزم بتوجيهاتهم وتقويمهم.

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، والهم نوابغ الكلم، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد أشرف خلق الله أجمعين.

قسمت بحثي هذا إلى بابين، الباب الأول تناولت فيه وصف المتنبي لمعارك سيف الدولة م الروم، وقمت بتقسيم هذا الباب إلى فصلين، الفصل الأول تناولت فيه وصف ميدان المعركة، حيث وصف المتنبي الخيل التي أوردها في وصفه لهذه المعارك، وتعرضت أيضاً لوصفه جيش سيف الدولة، ووصفه جيش الروم، وذكرت فيه أيضاً وصف المتنبي للقتال والاشتباك بين سيف الدولة والروم، وذكرت فيه أيضاً وصف المتنبي للسلاح المستخدم في تلك الحروب.

وتناولت في الفصل الثاني وصف المتنبي لنتائج معارك سيف الدولة مع الروم، التي تتمثل في وصف النصر والهزيمة.

أما الباب الثاني فتحدثت فيه عن الخصائص الفنية لقصائد المتنبي في وصف معارك سيف الدولة م الروم، وقسمته إلى فصلين أيضاً، تناولت في الفصل الأول بناء قصائد المتنبي التي وصف بها هذه المعارك، وتحدثت فيه أيضاً عن موسيقى هذه القصائد من حيث الوزن والقافية وبحور الشعر.

وفي الفصل الثاني تناولت استخدام الصورة البيانية، فتحدثت عن التشبيه والاستعارة والكناية.

وجاء اختياري لهذا العنوان لإعجابي الشديد بشعر هذا الشاعر الذي صُنِّف من فحول الشعراء العرب، ولقيمة هذه القصائد التي تُعدُّ من أروع ما قال المتنبي من شعر.

وكان هدفي من هذا البحث الوقوف على تلك الحقبة الزمنية من حياة المسلمين، ومعرفة ما قام به سيف الدولة من جهاد وقتال الروم، وما حققته من انتصارات لها أثر على الإسلام والمسلمين ، ومن أهدافي أيضاً حث المسلمين على حماية الإسلام والمسلمين وأراضيهم وذلك لجهادهم ضد الكفار ، واقتداء قوادهم بسيف الدولة.

وهدفت أيضاً إلي معرفة كيفية وصف المتنبي لتلك المعارك، ودراسة قصائد المتنبي في وصف معارك سيف الدولة مع الروم من حيث البناء والموسيقى، ومعرفة البحور

المستخدمة في تلك القصائد، ومعرفة أكثر الصور البيانية التي استخدمها المتنبي لوصف هذه المعارك، ودراسة تلك الصور.

ولقد وصف المتنبي هذه المعارك،في الفترة التي صحب فيها سيف الدولة من سنة ٣٣٧ إلى٣٤٥ هـ ،وكان شعر المتنبي في تلك الفترة أغلبه في وصف هذه المعارك.

ولقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي في كتابتي لهذا البحث، لأنني وجدته الأنسب ومن أهم المراجع التي اعتمدت عليها كتاب العمدة في محاسن الأدب وفنونه لابن رشيق القيرواني، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، وكتاب الطراز للعلوي اليمني.

الباب الأول

وصف المعركة

الفصل الأول
وصف ميدان المعركة

نتناول في هذا الفصل وصف الشاعر لميدان المعركة، حيث يتجه الشاعر إلى وصف الخيل، والجيش، كما يصف القتال والسلاح المستخدم في المعركة.

أولاً: وصف الخيل:

الخيل في ساحة المعركة تُحظى بعناية واضحة من المتنبي، فهو يصف سرعتها وقوتها ومشاركتها للفرسان في القتال وإلحاق الضرر بالعدو.

أ/ السرعة والقوة:

سرعة الخيل في ميدان المعركة تسترعي انتباه المتنبي، فيقف متأملاً قدرة تلك الخيول علي مباغتة العدو، حيث يقول:[١]

رَمَى الدَّرْبَ بالجُردِ الجِياد إلى العِدا ... وما عَلِمُوا أنَّ السِّهامَ خُيُولُ

شَوَائِلَ تَشْوَالَ العَقَارِبِ بالقَنَا ... لها مَرَحٌ مِنْ تَحتِهِ وصَهِيلِ

رمي سيف الدولة الروم بخيل أسرع إليهم من السهام، ولم يعلموا قبل ذلك أن تكون الخيل سهاماً، وفي البيت الثاني شبه الشاعر الرماح على الخيل بأذناب العقارب إذا رفعتها، وهو يشير إلى سرعة سير الخيل وكثرة جريها، وهو دليل على كرمها وقوتها، والتشوال – وهو رفع العقرب ذنبها – أكثر ما يكون عند الجري، ثم دل على نشاطها بمرحها، وعلى عزة نفسها بصهيلها.

ونراه يصف سرعة جري الخيل ومواصلتها للسير في قوله:[٢]

يُذْرِي اللُّقَانُ غُباراً في مَناخِرِهَا ... وفي حَناجِرِها مِنْ آلِس جُرَعُ

---

(١) ديوان المتنبي، دار صادر ، بيروت ، ط٢، ٢٠٠٨م ، ص ٢٢٧.

(٢) المرجع السابق ٢٠١

شربت خيل سيف الدولة الماء من نهر آلس وبلغت موضع اللُّقان قبل أن تبتلع ما شربته، فماء هذا النهر في حلوقها وقد وصل إلى حناجرها غبار اللقان وبين اللقان ونهر آلس مسافة بعيدة.

وعبارة ابن الاقليلي(١): ((وصلت اللقان وحناجرها لم تجف من ماء النهر)) فهو يشير إلى شدة سرعة الخيل. وقال ابن جني(٢) ((لا تستقر فتشرب، وإنما تختلس الماء اختلاساً بمواصلة السير)).وقال أيضاً: ((ولا يجوز أن تكون شربت الماء قليلاً لعلمها بما يعقب في الركض، وكذا يفعل كرام الخيل)) وهذه الخيل كانت تختلس الماء، كما ذكر ابن جني، لأن المسافة بين الموضعين بعيدة، فلو شربت كل الماء الذي في فمها لوصلت إلي اللقان وحناجرها جافة.

ويقول أيضاً: (٣)

دُونَ السَّـــهامِ٤ ودُونَ الفُـــرِّ طافِحَـــةً عَلًـــى نُفُوسِـــهِم المُقْـــوَرَّةَ المُـــزُعُ

ذكر المتنبي أنه قبل شدة الصيف، وشدة البرد، أن خيل سيف الدولة تأتي الروم وتعدو على نفوسهم بحوافرها، وهذه الخيول ضامرة وسريعة.

وروي ابن جني :(٥) (السِّهام) بكسر السين و (دون الفر) بالفاء، وبهذا يكون المعنى: قبل أن تصل إليهم سهام الرماة، وقبل أن يفروا تهجم عليهم هذه الخيل السريعة.

ويقول: (٦)

(١) شرح شعر المتنبي أبي القاسم ابراهيم بن محمد المعروف بابن الاقليلي تحقيق مصطفى عليان- بيروت طباعة ونشر مؤسسة الرسالة- ط١ ١٩٩٢م -١/٣٥٠

(٢) الفسر لابن جني، تحقيق رضا رجب، ط١، ٢٠٠٤م، دمشق الناشر: دار الينابيع للنشر ، المجلد الثاني، ص٣٣٣

(٣) ديوان المتنبي٢٠١

(٤) السَّهام: وهج الصيف

(٥) الفسر ٣/٣٣٤

(٦) ديوان المتنبي ٢٦٢

كُلَّمَـــا أعْجَلُـــوا النَـــذِيرَ سَـــيراً   أعْجَلَـــتْهُم جِيَـــادُهُ الإعْجَـــالا

نجد الروم كلما أرادوا الهجوم على قلعة الحدث، جاءهم سيف الدولة وسبقهم إليها، وهزمهم قبل أن يسبقوا الاستيلاء عليها.

ويقول أيضاً: (١)

فـأتَتْهُم خَـوَارِقُ (٢) الأرضِ مـا تَحمِـلُ   إلا الحَدِيدَ والأبْطَـالا

خافِيـَاتِ الألْـوَانِ قَـدْ نَسَـجَ النَّقـعُ   عَلِيـــها بَرَاقِعَـــاً وَجِـــلالا (٣)

خيل سيف الدولة أتت تقطع الأرض سرعةً ، وعليها الأبطال مدججين بالسلاح، يقول العكبري : (٤) ((إنما الخوارق تجوب الأرض وتقطعها مسرعةً ، والحصر في قوله ما تحمل إلا الحديد والأبطال لمجرد التأكيد)) .

وأتتهم هذه الخيل وقد خفي لونها ، فلا يعرف الأدهم من الكميت والأشهب من الأشقر، لها علامات من الغبار ، فقد تكاثف ذلك الغبار حتى صار على وجوهها كالبراق وعلي متونها كالجلال ، فكل هذا نتيجة لسرعة الخيل الشديدة ، فالشاعر وضع صورة للخيل استطاع أن يوضح فيها سرعتها وقوتها .

ويقول : (٥)

فكـــأنَّ أَرجُلَهـــا بتُربَـــةِ مَنْـــبِجٍ   يَطْـــرَحْنَ أَيْـــدِيها بِحِصـــنِ الـــرَّانِ

حتَّـــــى عَبَـــرنَ بأَرْسَـــناس سَوَابِحاً   يَنشُـــرنَ فيـــه عَمَـــائِمَ الفُرْســـانِ

---

(١) ديوان المتنبي ص ٢٦٢. .

(٢) خوارق الأرض : التي قطعت الأرض حتى بلغت أقصاها .

(٣) الجلال : جمع جل وهو ما كان علي ظهر الدابة تحت السرج .

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ، بيروت- لبنان، ضبطه وصححه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، الناشر دار المعرفة.

(٥) ديوان المتنبي ص٢٦٦ .

هذه الخيل تجري بسرعة كأن أرجلها بمنطقة منبج بالشام ، وأيديها بحصن الران بالروم؛لبعد مواقع أيديها عن أرجلها ، أي كأنها تقصد أن تبلغ الروم بخطوة واحدة ، وبين منبج وحصن الران مسيرة خمس ليال ، وهذه الخيل عبرت نهر أرسناس بالروم وبسرعة بالرغم من ماؤه البارد جداً ، وهذا كله دليل على سرعة هذه الخيل .

ب/ المشاركة في القتال :

شاركت الخيل في هذه المعارك، وكان لها دور في انتصارات سيف الدولة علي الروم ، فيصف لنا المتنبي مشاركة الخيل في هذه المعارك فيقول : (١)

حالَفَتــــهُ صُـــدُورُها والعَـــوالِي لَتَخُوضَـــنَّ دُونَـــهُ الأهْـــوالا
ولَتَمْضِـــنَّ حيـــثُ لا يَجِـــدُ الـــرُّمحُ مَـــدَاراً ولا الحُصـــانِ مَجَـــالا

إن صدور خيل سيف الدولة ، وعوالي رماحه ، عاهدته علي أن تخوض الأهوال والحروب دونه ، أي تكفيه إياها . وهذه الخيل تدخل في أضيق الأماكن في ساحة المعركة التي لا يجد فيها الرمح مداراً لشدة المجالدة ، والتي لا يجد فيها الحصان مجالا لكثرة المزاحمة . فالشاعر أراد بهذه المبالغة أن هذه الخيل تدخل في كل مكان في المعركة حتى ولو كان ضيقا ، وهذا دليل علي مشاركتها في المعركة .

ويقول في موضع آخر (٢) :

وخَيـلٍ بَراها الـرَّكضُ فـي كُـلِّ بَلـدَةٍ إذا عَرَّسَـتْ (٣) فيهـا فلَـيسَ تَقِيـلُ

---

(١) ديوان المتنبي ص٢٦٢

(٢) المرجع السابق ص٢٢٧ .

(٣) التعريس: هو نزول الركب آخر الليل للاستراحة .

إن خيل سيف الدولة لا تزال دائبة التسيار في بلاد الروم ، فإذا نزلت في بلد ليلاً لم تقم به نهارا ، بل تقيل ببلد آخرفالخيل تحمل المقاتلين من بلد إلى آخر حتى يقتلوا الروم، وبهذا تكون قد ساهت في هذا القتال .

وعن خوض الخيل للأنهار يقول : (١)

ضَــرَبْتَهُ بِصُــدُورِ الخَيْــلِ حامِلــةً   قَومــاً إذا تَلِفُــوا قُــدماً فقــد سَــلِمُوا

تَجَفَّــلُ المَــوجُ عَــن لَبَّــاتِ خَــيلِهِم   كَمــا تَجَفَّــلُ تَحــتَ الغَــارَةِ النَّعْــمُ

ضرب سيف الدولة النهر بصدور خيله حين عبره ، وهذه الخيل تحمل قوما يرون التلف في الإقدام سلامة ، أي لا يهابون التلف ، بل يتهافتون عليه ، وفي هذا دليل علي قوة الخيل وإقدامها بحيث أنه لا يوقفها برٌّ ولا بحرٌ عن مدارها ، وهذه الخيل تسرع في سيرها ، والأمواج تتدفق مسرعة أمام صدورها،وسرعة هذا الموج تشبه سرعة المواشي عند الإغارة عليها .

ويقول الشاعر عن إعانة الخيل لسيف الدولة (٢) :

وتُســعِدُنِي فــي غَمــرَةٍ بَعــدَ غَمــرَةٍ   سَــبُوحٌ لهــا مِنْهــا عَلَيهــا شَــوَاهِدُ

تَثَنَّــى عَلَــى قَــدْرِ الطِّعــانِ كأَنَّمــا   مَفَاصِــلُها تَحــتَ الرِّمــاحِ مَــرَاوِدُ

مُحَرَّمَــةٌ أَكفَــالُ خَيْلِــي عَلَــى القَنَــا   مُحَلَّلَــــةٌ لَبَّاتَهــــا والقلائِــــدُ

الشاعر تعينه علي توارد الغمرات (الشدة) في الحروب فرس تسبح في جريانها، يشهد بكرمها خصال جميلة ، وهذه الخيل – للين مفاصلها – تميل مع الرماح كيفما اتجهت ، وأن سيف الدولة يخوض الحرب فتنال الرماح من صدور خيله وأعناقها ، ولا تنال من أعجازها لأنها لا تهرب ، فقد استطاع الشاعر أن يصل بالقاري إلي مستوى مشاركة هذه الخيل في المعركة .

---

(١) ديوان المتنبي ص ٢٧.

(٢) المرجع السابق ص٢٠٤ .

ج/ إلحاق الضرر بالعدو :

المقصود بالعدو هنا الروم، فقد ألحق سيف الدولة كثير من الضرر بالروم ، وفي ذلك يقول المتنبي [(١)] :

وتُضحِي الحُصُونُ المُشَمخَراتُ في الذُّرَى وخَيلُكَ في أَعْناقِهِنَّ قلائِدُ
عَصَفنَ بِهِم يَومَ اللُّقانِ وسُقْنَهُم بِهنرِيطَ حتَّى ابْيَضَّ بالسَّبِي آمِدُ

إن خيل سيف الدولة أحاطت بالحصون الشامخة العالية في رؤوس الجبال إحاطة كاملة ، كإحاطة القلائد بالأعناق ، فأتت هنريط واللقان ببلاد الروم ، وساقتهم أسارى حتى أبيضت أرض آمد بالروم بكثرة الأسرى من الجواري والغلمان .

وعن الضرر الذي لحق الحصون يقول المتنبي : [(٢)]

فما شَعَرُوا حتّى رَأَوْها مُغِيرَةً قِباحاً وأمَّا خَلقُها فجَمِيلُ
سَحائِبُ يَمْطُرنَ الحَدِيدَ عليهِمُ فكُلّ مَكانٍ بالسِّيُوفِ غَسِيلُ

فاجأت خيول سيف الدولة الروم ، فلم يشعروا بها إلا وهي تغير عليهم ، فكانت قبيحة في أعينهم ، لسوء فعلها بهم ، وهي مع ذلك جميلة الخلق ، وهذه الخيل تنصب عليهم بالسيوف والأسنة ، وقد شبهها الشاعر بالسحب لما فيها من بريق الأسلحة وصياح الأبطال ، وجعل مطرها الحديد ، ولما جعل السيوف مطرا جعل إفنائها لهم بمنزلة غسل الأرض منهم . وقال ابن جني [(٣)] :((يجوز أن يعني بالسحائب الغبار الثائر)) وعلى هذا فهو يصف خيله بالكثرة سحائب تمطر الحديد عليهم وتعمل السلاح فيهم فكل مكان تغسله السيوف بما تسفكه من الدماء .

([١]) ديوان المتنبي ٢٠٥.

([٢]) ديوان المتنبي ٢٢٧ .

([٣]) الفسر لابن جني ٨١٩/٣.

وهذه الخيل تسفك دماء الروم فيقول المتنبي في ذلك [١] :

وعَــادَتْ فظَنُّوهــا بِمَــوْزارَ قُفَّــلاً ... ولَــيسَ لهــا إلاّ الــدُّخُولَ قُفُــولُ

فخاضَــتْ نَجِيــعَ القَــومِ خَوضَــاً كأنَّــهُ ... بكُــلِّ نَجِيــعٍ لَــمْ تَخُضْــهُ كَفِيــلُ

وعادت خيل سيف الدولة ، فظنها الروم راجعة إلي بلادها وليس لها رجوع إلا الدخول عليهم من درب موزار – حصن ببلاد الروم – يعني أن عودها الذي ظنوه رجوعاً ، كان دخولاً عليهم ، فخاضت الخيل الدم الذي سفكته من الروم خوضا وافرا تاما ، حتى هان غيره بالإضافة إليه ، فكان كفيل بمن رآه بأن خيله لا يتعذر عليها خوض كل دم لم تخضه بعد ، وهذه صورة توضح قوة خيل سيف الدولة ومقدرتها علي خوض المعركة ، وتدميرها للعدو .

ويقول أيضا [٢] :

تُســايِرُها النِّيــرانُ فــي كُــلِّ مَســلَكٍ ... بِــه القَــومُ صَــرعَى والــدِّيارُ طُلُــولُ

وكَــرَّتْ فَمَــرَّتْ فــي دِمــاءِ مَلَطِيَّــةٍ ... مَلْطِيِّــةُ أُمٌّ للبَنِــينِ ثَكُــولُ

تسير النيران مع هذه الخيل أينما سارت ، أي أن سيف الدولة ورجاله كانوا يحرقون كل موضع وطئوه من بلاد الروم ويقتلون أهله، فتخرب ديارهم وتبقى آثارها، وعادت هذه الخيل ومرت في أهل ملطية، فسفكت دماءهم حتى خاضت فيها، ثم جعل الشاعر ملطية أم لأهلها وجعلهم كالبنين لها، وقد فقدتهم حين قتلوا .

وهذا تصوير عبر عن مدى هذا القتل والخراب ، ويقول أيضا [٣] :

وأَضْــعَفنَ مــا كُلِّفْنَــهُ مِــنْ قُباقِــبٍ ... فأَضْــحَى كــأَنَّ المــاءَ فِيــهِ عَلِيــلُ

ورُعْــنَ بنَــا قَلــبَ الفُــرَاتِ كأنَّمــا ... تَخِــرُ عَلِيــهِ بالرِّجــالِ سُــيُولُ

([١]) ديوان المتنبي ٢٢٧.

([٢]) ديوان المتنبي ٢٢٨.

([٣]) ديوان المتنبي٢٢٨

وهذه الخيل أضعفت نهر قباقب عند عبورها له بكثرة قوائمهما وشدة تزاحمها، فأصبح ماؤه كالعليل الساقط القوة ، فأصبح جريانه ضعيفا ، ولما عبرت الخيل الفرات أفزعته من كثرتها فشبه الشاعر الخيل بالسيول ، والرجال بما تحمله السيول ، ولما جعل الفرات مروعا استعار له قلبا، لأن الروع يكون في القلب . فهذه هي الخيل التي تخوض المعارك مع سيف الدولة .

ويقول [١] :

يُطـــارِدُ فِيـــهِ مَوجَـــهُ كُـــلُّ ســـابِحٍ   سَـــوَاءٌ عَلِيـــه غَمْـــرَةٌ ومَسِـــيلُ

وفـــي بَطـــنِ هِنـــرِيطٍ وسَـــمنِين للظُّبَـــى   وصُـــمِّ القَنَـــا مِمَّـــنْ أَبَـــدْنَ بَـــدِيلُ

كان الموج ينجفل من قوائم الخيل ويجري أمامها وهي تتبعه فجعل ذلك كالمطاردة ، وهذه الخيل لقوتها كانت لا تكترث لغمرة الماء بل سواء لديها الغمرة – وهي معظم الماء – والمسيل – وهي مجرى الماء – فتسبح في الغمرة كما تسير في المسيل الذي لا ماء فيه ، وكانت الظبى (السيوف) والرماح قد أفنت أهل ملطية، ولم يصلوا إلي بطن هنزيط وسمنين ، فكأن أولئك الهالكين بدل في هاتين البلدتين للسيوف والرماح ولأصحاب السيوف والرماح ولأصحاب الخيول ، يهلكونهم متى شاءوا ، ويقتلونهم متى ققلوا فهذه الخيل خير عون لهم في هذا القتال .

كانت خيل سيف الدولة مشهورة لدى الروم يقول الشاعر في ذلك [٢] :

طَلَعـــنَ علـــيهِم طَلعَـــةً يَعرِفُونَهـــا   لهـــا غُـــرَرٌ مـــا تَنقَضِـــي وحُجُـــولُ

وبِـــتنَ بِحِصـــنِ الـــرَّانِ رَزحَـــى مِـــنْ   الـوَجَى وكُلُّ عَزِيـزٍ للأَمِيـرِ ذَلِيـلُ [٣]

([١]) المرجع نفسه والصفحة نفسها

([٢]) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

([٣]) رزحى : تعبة معييه – الوجى : وجع بحافر الفرس من كثرة المشي .

طلعت خيل سيف الدولة علي أهل هذين الموضعين طلعة يعرفونها لأنها متكررة عليهم ، وهذه الطلعة في شهرتها كالخيل الغر المحجلة، وقد عادت هذه الخيل إلي حصن الران ، وقد تعبت وكلت بعد أن قتلت كل بطل ، وأذلت كل عزيز .

وهكذا كانت خيل سيف الدولة تشارك في كل معارك سيف الدولة مع الروم.

المبحث الثاني

وصف الجيوش

إن المتنبي يزاوج في وصف الجيوش بين جيش سيف الدولة وجيش الروم ، وينعت كلاً منهما بالصفات التي يراها ، وسنحاول في هذا الفصل أن نفصل الحديث عن صفات كل جيش .

أ- وصف جيش سيف الدولة:

وصف الشاعر جيش سيف الدولة بصفات كثيرة ، فوصفهم من حيث كثرة عددهم ، وعدم خوفهم من العدو ، وقوتهم وشجاعتهم ، وتحملهم لكبار المهام ، وتعرضهم لغارات الروم ، وكرمهم ، وعتادهم وجاهزيتهم وحبهم للقتال ، حيث يقول (1) :

وجَـــيشٌ يُثَنِّـــي كُـــلَّ طَـــودٍ كأنَّـــهُ خَرِيـقُ رِيَـاحٍ واجَهَـتْ غُصْـنَاً رَطْبَـا

كـــأنَّ نُجُـــومَ اللَّيـــلِ خافَـــتْ مغَـــارَهُ فمَـــدَّتْ عليـــه مِـــنْ عَجاجَتِـــهِ حُجْبَـــا

كان لسيف الدولة جيش إذا مر بجبل كأنه جبل آخر من كثرته ، وهو يهدّ هذا الجبل ويزعزعه عن موضعه ، وهذا الجيش كالريح الشديدة . ثم وصف الشاعر الغبار الذي أثاره ذلك الجيش فذكر أن غبار هذا الجيش حجب السماء حتى إن النجوم اختفت من كثرة هذا الغبار الذي هو دليل علي كثرة هذا الجيش .

ويصف الشاعر جنود سيف الدولة بأنهم أبناء حرب فيقول (2) :

أبِـــالغَمَراتِ تُوعِـــدُنا النَّصـــارَى ونَحـــنُ نُجُومُهـــا وهِـــيَ البُـــرُوجُ !؟

قام الروم بتهديد سيف الدولة بقتالهم ، فتعجب المتنبي من ذلك التوعد ، إذ كيف يهددنا الروم بالحرب ونحن أبناء الحرب لا ننفك عنها ، وليس لنا منزل سواها ، فكأنا نجوم ،

(1) ديوان المتنبي ٢١١.

(2) ديوان المتنبي ١٩٩.

والغمرات بروج تلك الروم ، فكما لا تزايل النجوم بروجها فكذلك نحن لا نزايل الغمرات ، فهذا وصف لجيش سيف الدولة بين مدى قوتهم وشجاعتهم واستعدادهم لخوض المعارك في أي وقت . ويقول (١) :

وفَــوارِسٍ يُحْيِــي الحِمــامُ نُفُوسَــها   فكأنَّهــا لَيسَــتْ مِــنْ الحَيْــوَانِ

جنود سيف الدولة هم فرسان ، يعدون الموت في الحرب حياة ، لبقاء ذكراهم بعد موتهم ، حتى كأنهم ليسوا من الحيوان ، لأن الحيوان إذا مات ينسى .

وعن كثرة جيش سيف الدولة يقول الشاعر (٢) :

ذَمَّ الدُّمُسْــتُقُ عَينَيْــهِ وقــد طَلَعَــتْ   سُــودُ الغَمَــامِ فظَنُّــوا أنَّهــا قَــزَعُ

فِيهــا الكُمَــاةُ التِــي مَفطُومُهــا رَجُــلٌ   علَــى الجِيــادِ التــي حَوْلِيُّهــا جَــذَعُ (٣)

رأى الدمستق قائد الروم كتائب سيف الدولة فظنها شرازم قليلة، ولما رأى الدمستق جيش سيف الدولة كأنه الغمام الأسود ، ووجد الأمر علي خلاف ما أدركته عيناه ذم عينيه ، وإنما خص الغمام الأسود ، لأنه أهول منظرا وأكثر في السماء إجراء وتراكما ، ولأن فيها تكون الصواعق أكثر من غيرها .فهذا إشارة إلي الكثرة وهذا الجيش العظيم كل طفل منهم كأنه رجل ، لشدته ، وكل مهر حولي – الذي أتى عليه الحول – من افراس سيف الدولة كأنه جذع – الذي تم له حولان – أي أن حولي مهرهم جذع من أفراس غيرهم في قوته وشدته .

يصف الشاعر قوة وشجاعة جيش سيف الدولة فيقول (٤) :

هــلاّ علَــى عَقَــبِ الــوادِي وقَــدْ صَــعَدَتْ   أُسْــدٌ تَمُــرُّ فُــرادَى لَــيسَ تَجتَمِــعُ

---

(١) ديوان المتنبي ص٢٦٧ .

(٢) المرجع السابق ص٢٠١ .

(٣) الكماة : المتكمي في السلاح أي المستتر.

(٤) ديوان المتنبي ص٢٠٢ .

يخاطب الشاعر الروم قائلا : هلا وقفتم وحاربتم حين عبرنا الوادي وصعدنا عقبة ، وكانت خيلنا كالأسود ، تمر فرادى للحرب لا يتوقف بعضها لبعض . وهذا دليل علي أن كل فارس من جيش سيف الدولة يمثل جيشا لوحده، لأنه يسير كل فارس بمفرده لا يحتمي بالآخرين وهو دليل قوتهم وشجاعتهم.

وعن عظم هذا الجيش وقوة بأسه يقول الشاعر (١) :

فـي خَمِـيسٍ مِـنَ الأُسُـودِ بَئِـيسٍ   يَفتَرِسُـنَ النُّفُـوسَ والأَمْـوالاَ

إن قلعة الحدث تمشي آمنة ، وهي في جيش عظيم من الفرسان كالأسود ، فهم يقتلون النفوس ، وينهبون الأموال .

ثم تحدث الشاعر عن تحمّل جيش سيف الدولة كبار المهام فيقول (٢) :

يُكَلِّـفُ سَـيفُ الدَّولَـةِ الجَـيشَ هَمّـهُ   وقَـد عَجِـزَتْ عَنـهُ الجُيُـوشُ الخَضَـارِمُ

يقوم سيف الدولة بوضع همومه في جيشه ، بما تقتضيه الغارات والغزوات ، وهو أمر عجزت الجيوش الأخرى عن تحمله برغم عظمها . فقد استطاع الشاعر أن يعبر عن المعنى في صورة تصل إلي القارئ بوضوح تام .

وعن تعرض جيش سيف الدولة لغارات الروم يقول الشاعر (٣) :

مُتَصَـعْلِكِينَ عَلَـى كَثافَـةِ مُلْكِهِـم   مُتَوَاضِـعِينَ علَـى عَظِـيمِ الشَّـأنِ

وجنود سيف الدولة علي عظمة ملكهم وتعرضهم للغارات وشدائد الأسفار ، فهم مع شأنهم هذا يتواضعون للناس ، ونجد الشاعر قد جمع في هذا البيت عددا من الصفات التي

---

(١) ديوان المتنبي ص٢٦٤.

(٢) المرجع السابق ص٢٤٥.

(٣) المرجع السابق ص٢٦٧

وصف بها جيش سيف الدولة ، فقد وصفهم بعظمة ملكهم ، ووصفهم بالشجاعة ، ووصفهم بالتواضع .

ويصف الشاعر عظم جيش سيف الدولة فيقول (١) :

وربَّ جَوابٍ عَن كِتَابٍ بَعَثْتَهُ   وعُنْوانُهُ للنَّاظِرِينَ قَتَامُ
تَضِيقُ بِه البَيْداءُ مِنْ قَبلِ نَشرِهِ   ومَا فُضَّ عَنهُ بالبَيْداءِ خِتَامُ
حُرُوفِ هِجاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلاثَةٌ   جَوادٌ ورُمحٌ ذَابِلٌ وحُسَامُ

بعث سيف الدولة جيشا عظيما ، وهذا الجيش تدل على كثرة وعظمة الغبار الثائر ، وهذا الجيش كثير تضيق به البيداء قبل انتشاره فيها ، فكيف يكون حاله إذا انتشر وتفرق للحرب والإغارة ، فجعل الشاعر الجيش كتابا ، والغبار الثائر عنوان ذلك الكتاب ، ولما جعل الجيش كتابا ، جعل حروف هذا الكتاب ثلاثة هي : الفرس ، والرمح والسيف ، فقد استطاع الشاعر أن يعبر عن عظم هذا الجيش بأن جعل الصحراء تضيق به ، والأعظم من ذلك أن جعل ضيق البيداء عنه وذلك قبل انتشاره ، فهو وصف معبر عن عظم هذا الجيش .

ويتحدث الشاعر عن إعانة ذلك الجيش لسيف الدولة فيقول (٢) :

تَعَدَّ القُرَى والمُسْ بِنا الجَيشَ لَمْسَةً   نُبارِ إلى ما تَشتَهِي يَدُكَ اليُمنَى
فقد بَرَدتْ فَوقَ اللُّقانِ دِماؤُهُم   ونَحنُ أُناسٌ نُتْبِعُ البَارِدَ السُّخْنا

طلب الجيش من سيف الدولة أن يتجاوز القرى إلي الصحراء وأن يحارب بهم الروم ، وأن يدنوهم منهم دنو اللامس من الملموس ، فهم وقتها يسابقون سيف الدولة إلي تبليغه ما يريد الظفر ويذكر جيش سيف الدولة أن سفكهم لدماء الروم قد تقادم عهده، أي أن آخر مره سفكوه في اللقان ، ذكروا أنهم يريدون أن يسفكوا دم الروم ويتبعوا ذلك الدم الذي برد فيه اللقان دما

(١) ديوان المتنبي ص٢٥٠.

(٢) ديوان المتنبي ص٢٠٣.

سخنا . وهذا دليل علي تعودهم علي الحرب وتشوقهم إليها، ومواصلتهم لقتل الروم وسفك دمائهم.

بعد أن وصف الشاعر سيف الدولة بالقوة والشجاعة والتضحية وغيرها من الصفات الجميلة ، جاء ووصف ذلك الجيش بالجبن ، وذلك عندما انهزموا بالقرب من بحيرة الحدث وكان ذلك في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان الانتصار في بداية المعركة لسيف الدولة ، ولكن الدمستق جمع جنده وهجم علي سيف الدولة في آخر النهار ، وجعل سيف الدولة يستنفر الناس فلم ينفر أحد ، فمن نجا من العقبة نهارا لم يرجع ، ومن تبقى تحتها لم تكن له النصرة ، وتخاذل الناس عنه وانهزم سيف الدولة ، وقَتل الدمستق من قتل وأسر من أسر .

ففي وصف تلك المعركة قال المتنبي القصيدة التي مطلعها[١] :

غيَــرِي بــأَكْثَرِ هــذا النَّــاسِ يَنخَــدِعُ   إنْ قاتَلُوا جَبَنُوا أو حَدَّثُوا شَجُعُوا
وفي أهْــــلُ الحَفِيظَـــــةِ إلاّ أنْ تُجَــــرِّبَهُم   التَّجَــارِبِ بَعــدَ الغَــيِّ مــا وَزَعُــوا [٢]

فالشاعر يصف في مطلع هذه القصيدة جيش سيف الدولة بالجبن ، وقال : إن أكثر الناس ينخدعون بهؤلاء الجنود ، وأنا لا أنخدع بهم فأتأول فيهم الخير وأظن فيهم الجميل ، لأنهم يجبنون عند القتال ويشجعون عند الحديث ، فشجاعتهم بالقول لا بالفعل، فلا أغتر بقولهم .

ووصفهم أيضا بأهل الحمية والأنفة في حال عدم تجربتهم ، فإذا جربتهم لم تجدهم كذلك ، فتكف عن مخالطتهم ، وخلاصة القول أن الشخص لا تعرف حقيقته إلا بعد التجربة ، لأنك ربما تراه وتظن أنه قوي وشجاع ، ولكن بعد التجربة تتضح لك حقيقته .

---

(١) المرجع السابق ٢٠٠.

(٢) الحفيظة : الحمية والأنفة ، يزع : يكف .

وقد وصف الشاعر هزيمة ذلك الجيش ، ووصف هذا الجيش بكثير من الصفات السيئة ولكننا سوف نذكر ذلك في باب نتائج المعركة .

ب/ وصف جيش الروم:

يتجه المتنبي إلي وصف جيش الروم بصفات تكاد تكون مقابلة تماما لما وصف به جيش سيف الدولة، فهو يصفهم بالجبن والخوف، والضعف وغيرها من صفات الضعف. يقول المتنبي[١] :

إذا الطَّعْـنُ لَـم تُـدْخِلكَ فِيـه شَـجاعَةٌ   هِـيَ الطَّعْـنُ لَـمْ يُـدخِلكَ فِيـهِ عَـزُولُ

إذا الإنسان لم تدخله شجاعتة في القتال ، وتحمله علي مقارعة الأقران ، فإن عزل العازل لا يدخله في ذلك القتال ، يعني أن التحريض لا يحوك الجبان ، بل الذي يحركه هو الشجاعة ، ويقصد بذلك أن الروم جبناء .

وأيضا يصفهم بالجبن بقوله [٢] :

إذا مـا خَـلا الجَبَـانُ بِـأَرضٍ   طَلَـبَ الطَّعـنَ وَحْـدَهُ والنِـزَالا
أَقْسَـمُوا لا رَأَوْكَ إلاّ بِقَلـبٍ   طَاَلَمَـا غَـرَّتِ العُيُـونُ الرِّجَـالا

إن الجبان إذا خلا بنفسه أظهر الشجاعة، ويظن عنده غناء ويطلب الطعان والمنازلة، وإذا جاءت الحرب انثنى ، يريد الشاعر أن الروم شجعان خارج أرض المعركة. وقد حلف الروم ليحضرن عقولهم ، وليعملن أفكارهم في قتال سيف الدولة وكذبهم عنه كثيرا ما رأوه بعيونهم مما يوهمهم أن في إمكانهم محاربته، ولما امتحنوا بأسه وعاينوا أفاعيله، علموا أن عيونهم غرتهم قبل ذلك وأطمعتهم في مقاومته وحينئذ بطل اعتمادهم علي عيونهم، واعتمدوا علي رؤية القلب

---

(١) ديوان المتنبي ٢٢٩.

(٢) ديوان المتنبي ٢٦٤ .

، فصاروا يرجعون في الرأي إلى ما علموه بقلوبهم وعقولهم من قوة بطشك، لا إلى ما يرون من كثرة عددهم وأحلافهم.

ويصف خوف الروم من سيف الدولة قائلا [١] :

حِـــذاراً لِمُعْـــرَورِي الجِيـــادِ فُجــــاءَةٌ   إلــى الطَّعـنِ قُـبْلاً مـا لَهُـنَّ لِجـامُ [٢]

الروم لا ينامون حذراً من سيف الدولة الذي يركب الفرس بلا سرج إلى الحرب، فهو لا يتوقف إلي أن تُسرج وتُلجم إذا دعت الحرب، فقد وصف الشاعر الروم بالخوف الشديد، ودليل خوفهم هو عدم نومهم خوفاً من سيف الدولة، وفي المقابل وصف سيف الدولة بالشجاعة وحبه للحرب، لأنه يركب الفرس بدون سرج ولا لجام إذا دعت الضرورة.

ويقول مخاطباً سيف الدولة[٣] :

إذا خـــافَ مَلِــكٌ مِــنْ مَلِيــكٍ أَجَرْتَــهُ   وسَـــيفِكَ خَـــافُوا والجِـــوَارَ تُسَـــامُ [٤]

لَهُــم عَنْــكَ بــالبِيضِ الخِفَــافِ تَفَــرُّقٌ   وحَولَـــكَ بالكُتُـــبِ اللِّطَـــافِ زِحَـــامُ

يواصل الشاعر في وصف خوف الروم من سيف الدولة، حيث أنه إذا خاف ملك من ملك آخر فعادة سيف الدولة أن يجيره، وهؤلاء الروم خافوا من سيفه، فالتجئوا إليه، وكلفوه إجارتهم، فهم في الحرب يتفرقون عنه خوفاً من سيوفه، وهم يجتمعون حوله ويزدحمون عليه طلباً للصلح، ويرسلون إليه كتباً لطافاً يسألونه فيها العفو، وإنما جعلها لطافاً، لأنها كتب مبعوثة على كتمان فكل كبير وبطريق – القائد من قواد الروم – يتقرب إليه بكتاب لطيف، سراً عن صاحبه.

---

(١) ديوان المتنبي ٢٤٩ .

(٢) معروري : أعروري الفرس : إذا ركبته عريانا بلا سرج ، قبلا : متقدما إلي أعوانه .

(٣) ديوان المتنبي ٢٤٩

(٤) تسام: تكلف .

فقد وصف الشاعر خوف الروم من سيف الدولة، بإظهار ضعفهم وعدم مقدرتهم علي قتال سيف الدولة، وليس لهم في قتال سيف الدولة لهم إلا أن يلتجئوا إلى شخص قوي يحتمون به من سيف الدولة، فلم يجدوا إلا سيف الدولة، فذهبوا إليه في تضرع بأن يوقف عنهم القتال، فهذه الأبيات عبرت عن خوف الروم من سيف الدولة وإنكسارهم إليه.

ويستمر الشاعر في وصف الروم بالخوف من سيف الدولة قائلاً [١] :

ومـــا الجِبـــالُ لِنَصـــرَانٍ بِحامِيَـــةٍ ولَـوْ تَنَصَّـرَ فِيها الأَعصَمُ الصَّـدِعُ [٢]

احتمي الروم بالجبال خوفاً من سيف الدولة، ولكن اعتصامهم بالجبال لا ينفعهم، لأنها لا تحميهم، وحتى لو تنصرت الأوعال التي في الجبال لاصطادها سيف الدولة بقوته، وهذا دليل ضعفهم وإظهار قوة سيف الدولة.

كثرة العدد وحدها لا تكفي للانتصار في المعركة، وهذا ما ذكره الشاعر في قوله [٣]:

إذا لـــم تكـــن لِلّيـــث إلا فريســـة غـــذاه ولـــم ينفـــك أنـــك فيـــل [٤]

إن كثرة الروم وحدها لا تنفعهم، فلابد من الشجاعة والعزيمة والإصرار، فالروم مع كثرة عددهم جبناء ضعفاء، وشبه الشاعر ذلك بالفيل مع الأسد، فالفيل ضخم الحجم ولكن الأسد أشجع منه بالرغم من أنه أصغر حجماً منه، ويستطيع أن يفعل الأسد بالفيل ما يريد فعله، لأنه شجاع قوي. إذاً فالقوة ليست في الكثرة ولا في الضخامة وإنما هي بالشجاعة.

وعن عتاد ذلك الجيش يقول المتبني[٥] :

أتَـــوْكَ يَجُـــرُّونَ الحَدِيـــدَ كأنَّمـــا سَـــرَوْا بِجِيـــادٍ مـــالَهُنَّ قَـــوائِمُ
إذا بَرَقُـوا لَـمْ تُعْـرَفِ البِـيضُ مَـنهُم ثِيَـــابُهُم مِـــنْ مِثْلِهـــا والعَمـــائِمُ

([١]) ديوان المتنبي ٢٠٢

([٢]) الأعصم: الوعل الذي في يديه بياض ، الصدع: الوعل بين السمين والهزيل .

([٣]) ديوان المتنبي ٢٨٧

.

([٥]) ديوان المتنبي ٢٤٦

في هذين البيتين يرسم لنا الشاعر الهيئة التي جاء عليها جيش الروم، فهم أتوا مدججين في السلاح، ولكثرة العتاد على خيولهم كأنها بلا أرجل، ولم تعرف بينهم وبين سيوفهم، لأن عمائم وثيابهم كانت من الحديد، وهذه الصورة تدل على خوفهم الشديد من سيف الدولة.

المبحث الثالث

وصف القتال والسلاح

أ/ وصف القتال:

وصف المتنبي القتال بين سيف الدولة والروم، من التحام الفريقين، وشدة القتال بينهما، ووصف لنا الغبار الثائر من ذلك القتال.

شدة التحام الفريقين يقول المتنبي[١]:

مَضَــى بَعْـدَما التَـفَّ الرِّماحَـانِ سَـاعَةً   كَمَـا يَتَلَقَّــى الهُـدْبُ فِـي الرَّقْـدَةِ الهُـدْبَا

التحم الفريقين واشتبكا أشد الاشتباك، واستمر هذا الاشتباك زمناً طويلاً، حتى اشتبكت الرماح مع بعضها البعض وتداخلت، فشبه هذا الاشتباك باختلاط الأهداب العليا والسفلى عند النوم. فقد استطاع أن يرسم لنا صورة واضحة لهذا الاشتباك الضيف. ويقول[٢] :

إِذَا دَعَــا العِلــجُ عِلجَــاً حَــالَ بَيْنَهُمــا   أظْمَــى تُفــارِقُ مِنْــهُ أُخْتَهــا الضِّــلْعُ

إشتد القتال بين الفريقين، والاشتباك بينهما شديد، والرماح تطلق في توالي، حتى أنه إذا دعا الرومي رومياً آخر لينصره، حال بينهما رمحٌ أظمي – أسمر – فيفرق بينهما، كما يفرق أحد الأضلاع من الآخر، فهذه الصورة بينت مدى اشتباك الفريقين.

ثم يتحدث الشاعر بعد ذلك عن كيفية ضرب سيف الدولة للروم قائلاً [٣]:

تَشُــــقُّكُم بِفَتاهــــا كُــــلُّ سَــــلْهَبَةٍ   والضَّـربُ يأخُـذُ مِـنْكُم فَـوقَ مـا يَـدَعُ

---

(١) ديوان المتنبي ٢١٠

(٢) المرجع السابق ٢٠١

(٣) المرجع السابق٢٠٢

فتأتي في شدة هذا القتال الخيول الخفيفة السريعة من جيش سيف الدولة، فتشق الروم تحمل رجالاً يقتلونهم، فكان من قتل من الروم وجرح أكثر ممن سلم وتخلص من القتال والجرح. وكل هذا دليل على قوة جيش سيف الدولة وشجاعتهم.

وفي بعض الأحيان تأتي هذه المعارك نتيجة لخاطرة عرضت لسيف الدولة. فيقول الشاعر في ذلك[1] :

ومـا هِـيَ إلاّ خَطـرَةٌ عَرَضَـتْ لَـهُ   بِحَـرَّان لَبَّتْهَـا قَنَـاً ونُصُـولُ

كان سيف الدولة يخوض بعض هذه المعارك من غير استعداد، لأنه تأتيه خاطرة بأن يخوض معركةً، وحينها يجد جيشه جاهزاً بأسلحته ومرحباً بالفكرة، ويقوم بالهجوم على الروم، فهذه الجاهزية من الجيش التي تلبي مجرد خاطرة عرضت لقائدهم، فهي أكبر دليل على شجاعة هذا الجيش وقوته.

ويصف لنا الشاعر سيف الدولة في المعركة قائلاً [2] :

فـأَوْرَدَهُم صَـدرَ الحُصـانِ وسَـيفَهُ   فَتًـى بأسُـهُ مِثـلُ العَطَـاءِ جَزِيـلُ

جعل سيف الدولة صدر حصانه وسيفه مورداً للأعداء. أي أنه أقتحمهم بفرسه وقتلهم ، وهو فتى شجاعته مثل عطائه، فكل واحد منها جزيل. فاستقباله للروم بصدر حصانه دليل على شجاعته وثباته في المعركة.

ثم يصور لنا الشاعر شدة القتال بين الفريقين قائلاً [3]:

بنَاهـا فـأعْلَى والقَنـا يَقـرَعُ القَنـا   ومَـوجُ المَنَايَـا حَوْلَهَـا مُـتَلاطِمُ

([1]) ديوان المتنبي ٢٢٧

([2]) المرجع السابق ٢٢٨

([3])المرجع السابق ٢٤٥

بنى سيف الدولة قلعة الحدث، بعد أن تقاتل مع الروم قتالاً شديداً، ورماح المسلمين تقارع رماح الروم، وكان الموت يسلب الأرواح بأعداد كبيرة، إذن لم يكن بناء هذه القلعة عن طريق السلم، بل جاء بعد قتال واشتباك وقتل الأرواح، فانتصر سيف الدولة على الروم، ونال منهم ما أراد.

وعن إجادة جيش سيف الدولة للضرب يقول الشاعر[١]:

إذا تَوافَقَـــتِ الضَّـــرَبَاتُ صَـــاعِدَةً تَوَافَقَــتْ قُلَــلٌ فــي الجَــوِّ تَصْــطَدِمُ

اشتد الحال بالروم وعندما تكون الضربات على رؤوسهم في وقت واحد، تتوافق رؤوسهم في انحدارها، ويصطدم بعضها ببعض، أي أن كل هذه الضربات التي تقع على رؤوس الروم تقطعها، وفي ذلك إشارة إلى إجادة جيش الدولة الضرب بالسيوف، وفيه إشارة أيضاً إلي كثرة قتلهم للروم.

ويتحدث الشاعر عن تعرض ابن شُميشق للضرب قائلاً[٢]:

تَــرُدُّ عَنــهُ قَنَــا الفُرْسَــانِ سَــابِغَةً صَــوْبَ الأَسِــنَّةِ فــي أَثْنائِهــا دِيَــمُ

تَخُــطُّ فِيهَــا العَــوَالِي لَــيْسَ تَنْفُــذُهَا كَــأَنَّ كُــلَّ سِــنَانٍ فَوْقَهــا قَلَــمُ

إشتدت الحرب، وتبادل الفريقان القتال الرماح، وقد كثر وقع الرماح على ابن شميشق أحد بطارقة الروم، كأنها المطر في كثرتها، ولكن درعه المحكمة ردت عنه رماح فرسان سيف الدولة، وهذه الدرع حصينة جداً، فكانت الرماح تخط عليها خطاً ولا تنفذها كما يخط القلم على الألواح ولا ينفذها.

سيف الدولة لا يتوقف عن قتال الروم، ويقول الشاعر في ذلك [٣]:

وَقَــدْ عَلِــمَ الــرُّومُ الشَّــقِيُّونَ أَنَّنَــا إذَا مــا تَرَكْنَــا أَرْضَــهُم خَلَفْنــا عُــدْنَا

---

(١) ديوان المتنبي ٢٧١

(٢) المرجع السابق ٢٧٢

(٣) المرجع السابق ٢٠٣

عرف الروم أن سيف الدولة لا يكف عن قتالهم، وعلموا أيضاً أنَّ سيف الدولة ورجاله إذا رجعوا من بلاد الروم عادوا إليهم وقاتلوهم، وفي هذا دلالة على قوة سيف الدولة وشجاعته.

وعن قصد سيف الدولة ورجاله للموت يقول الشاعر [1]:

قَصَـــدنَا لَـــهُ قَصْـــدَ الحَبِيـــبِ لِقَـــاؤُه   إلَيْنَـــا وقُلْنَـــا للسِّـــيُوفِ هَلُمَّنَـــا

كان سيف الدولة ورجاله يقصدون الموت ولا يهابونه، لأنهم أبناء حرب، وكانوا في تشوقهم وقصدهم للموت، مثل قصد الحبيب لقاء محبو بته، أي أنهم يذهبون إلى المعركة في شوقٍ إلى القتال حتى ولو كان فيه موتهم.

ويصف الشاعر اشتداد المعركة وحال المسلمين بقوله([2]) :

وعلَـى الـدُّرُوبِ وفـي الرُّجُـوعِ غَضَاضَـةٌ   والسَّـــيرُ مُمْتَنِـــعٌ مِـــنَ الإمْكَـــانِ
والطُّـــرقُ ضَـــيّقَةِ المَسَـــالِكِ بالقَنَـــا   والكُفـــرُ مُجتَمِـــعٌ علَـــى الإيمَـــانِ
نَظَـــرُوا إلـــى زُبـــرِ الحَدِيـــدِ كأنَّمـــا   يَصْـــعَدْنَ بَـــيْنَ مَناكِـــبِ العِقْبَـــانِ
فَرَمَـــوْا بِمـــا يَرْمُـــونَ عَنْـــهُ وأَدْبَـــرُوا   يَطَـــؤُونَ كُـــلَّ حَنِيَّـــةٍ مِرْنـــانِ[3]

اشتد الحال بسيف الدولة ورجاله عند مدخل بلاد الروم، فلم يستطيعوا الرجوع لأن في رجوعهم منه ذلٌ وعار، ولم يستطيعوا التقدم لكثرة الجيش أمامهم، وضاقت الطرق بكثرة الرماح، والروم قد أحاطوا بهم، وفي هذه الأثناء انتفض جيشُ المسلمين وهجم على الروم، فنظر الروم إلي سيوف المسلمين وهي ترتفع في الهواء، والمسلمون فوق خيل سريعة وخفيفة مقنعون في الحديد، فرمى الروم قسيهم يدوسونها وهربوا.

ويخاطب الشاعر واصفاً ضرب سيف الدولة للروم قائلاً[4] :

([1]) ديوان المتنبي ٢٠٣

([2]) ديوان المتنبي ٢٦٧

([3]) الحنية: القوس ، المرنان: الكثير الرنة

( ) ديوان المتنبي ٢٦٧

مازِلْــتَ تَضْــرِبُهُم دِرَاكــاً فــي الــذُّرَى   ضَــرْباً كَــأَنَّ السِّــيفَ فِيــهِ اثْنَــانِ
خَــصَّ الجَمَــاجِمَ والوُجُــوهِ كأَنَّمــا   جَــاءَتْ إِلِيــكَ جُسُــومُهُم بِأَمَــانِ

ما زال سيف الدولة يضرب الروم ضرباً متتابعاً، وكان ذلك الضرب في أعالي الأبدان، ويعمل السيف الواحد عمل سيفين من القتل والسرعة، أو لأنه ينفذ المضروب إلى آخر فيقطعه أيضاً فكأنه سيفان، وكان سيف الدولة يضربهم في وجوههم، وفي رؤوسهم، حتى كأنه أعطى أجسامهم الأمان بالا يمسها بضرب.

ويوضح لنا الشاعر كيفية وقوع الضرب والطعن علي الروم قائلاً [١]:

يَغشَــاهُم مَطَــرُ السَّــحابِ مُفَصَّــلاً   بِمُثَقَّــــفٍ ومُهَنَّــــدٍ وسِــــنَانِ
وإذا الرِّمَــاحُ شَــغَلْنَ مُهجَــةَ ثَــائِرٍ   شَــغَلَتْهُ مُهجَتُــهُ عَــنِ الإخْــوَانِ

إنهال سيف الدولة على الروم ضرباً وطعناً، فكانت السيوف والرماح تتصبُّ عليهم في تواصل مستمر كأنها المطر النازل من السماء، فلما وقعت هذه الرماح في قلوبهم اشتغلوا بأنفسهم ونسوا إخوانهم الذين جاءوا يطلبون ثأرهم. وهذا من قول الله تعالي: {لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}[٢] .

ومن الأشياء التي وصفها الشاعر في المعركة، هي الغبار الذي ينتج عن كثرة الجيوش واشتداد القتال. فيقول في ذلك[٣] :

فــي جَحفَــلٍ سَــتَرَ العُيُــونَ غُبــارُهُ   فكَأَنَّمــــا يُبْصِــــرْنَ بــــالآذَانِ

قاد سيف الدولة خيله في جيش عظيم، قد تكاثف غباره حتى ستر العيون، حتى صارت الخيل لا تبصر شيئاً، ولكنها إذا أحست شيئاً نصبت آذانها حتى إذا كان هناك شئ أمامها تعرفه، فكأنها تبصر بآذانها.

---

(١) ديوان المتنبي ٢٦٧
(٢) سورة عبس ، الآية (٣٧).
(٣) المرجع السابق ٢٦٦

ويقول [١]:

والنَّقْـــعُ يَأخُـــذُ حرَّانَــاً وبُقْعَتَهــا   والشَّـــمسُ تُسْـــفِرُ أحْيَانــاً وتَلْـــثِمُ

جاء سيف الدولة إلى مدينة حران بالشام، وعم غبار خيله تلك المنطقة، وتكاثف حتى حجب ضوء الشمس، فهي تظهر من خلاله أحياناً، ثم تعود فتحتجب مرة أخرى.

في بعض المعارك يشتد تكاثف الغبار، حتى تنعدم الرؤية فيه، وفي ذلك يقول الشاعر[٢] :

تَهْـدِي نَوَاظِرَهـا والحَـرْبُ مُظلِمَـةٌ   مِـنَ الأَسِـنَّةِ نَـارٌ والقَنَـا شَـمعُ

عندما اشتد القتال بين الفريقين، عم الغبار ذلك المكان، وأظلمت الحرب به، حتى أصبحت الخيل لا تري شيئاً، فقد هدى عيونها أسنة الرماح.

بعد أن تحدثنا عن وصف القتال، ننتقل إلى وصف المتنبي للسلاح ودوره ف هذه المعارك، ففي السيف يقول الشاعر[٣]:

أَأَطْـرَحُ المَجـدَ عَـنْ كَتْفِـي وأَطْلُبُـهُ   وأَتْـرُكُ الغَيـثَ فـي غِمْـدِي وانْتَجِـعُ

والمَشْـرَفِيَّةُ لا زالَـتْ مُشَـرَّفِيَّةً   دَوَاءُ كُـلَّ كَـرِيمٍ أوهِـيَ الوَجَـعُ

إن المجد وسعة الرزق إنما يطلبان بالسيف، فسيف الدولة يقوم بحوزة المجد وكسب المال بالسيف والطعن، لم يترك السيف ويطلبهما بالسؤال، وأنّ هذه السيوف هي دواء الكريم أو داؤه، لأنه إما أن يدرك بها طلبه فتكون له دواء، وإما أن يُقتل بها فتكون عليه دواء. ويقول أيضاً[٤]:

والـذي قَطَـعَ الرِّقَـابَ مِـنَ الضَّـرْبِ   بِكَفَّيْـكَ قَطَـعَ الآمَـالا

---

(١) ديوان المتنبي ٢٦٩

(٢) المرجع السابق ٢٠١

(٣) المرجع السابق ٢٠٠

(٤) ديوان المتنبي ٢٦٣

إن السيف الذي قطع رقاب الروم من قبل، قطع آمال إخوانهم من الظفر بسيف الدولة، فتركوه، فالسيف هو الآلة التي قتل به سيف الدولة من قتل الروم، وهو الذي جعل الأحياء منهم يخافون ويبتعدون أمناً وسلامة لرقابهم.

يُفضل سيف الدولة استخدام السيف على الرمح في القتال، ففي ذلك يقول الشاعر [١]:

حَقَــرْتَ الرُّدَيْنِيَّــات حتَّــى طَرَحْتَهــا   وحتَّــى كــأنَّ السَّــيفَ للــرُّمحِ شــاتِمُ

ومَــنْ طَلَــبَ الفَــتْحَ الجَلِيــلَ فإنَّمَــا   مَفَاتِيحُــه البِــيضُ الخِفــافُ الصَّــوَارِمُ

ترك سيف الدولة القتال بالرماح فازدراها؛لأنها سلاح الجبناء وعمد إلى السيف؛ لأنه سلاح الشجعان؛ لاقتضائه مقاربة ما بين المتقاتلين، ولما آثر السيف على الرمح، صار كأن السيف يُعيِّر الرمح، لأنه يطعن من بعيد، والسيف يطعن من قريب، فكأنه يسبُّه بالضعف، لأن الفتح العظيم يكون بالسيوف الخفيفة القاطعة.

يقوم السيف بإخبار الروم بما جهلوا عن سيف الدولة، فيقول الشاعر عن ذلك[٢]:

ولَّــى صَــوَارِمَهُ إكْــذَابَ قَــوْلِهِم   فَهُــنَّ ألسِــنَةٌ أفْوَاهُهــا القِمَــمُ

نَوَاطِــقٌ مُخْبِــرَاتٌ فــي جَمَــاجِمِهِم   عَنــهُ بِمَــا جَهِلُــوا مِنْــهُ ومــا عَلِمُــوا

جعل سيف الدولة سيوفه تكذب الروم فيما إدعوه من الصبر على القتال، وذلك بقطع رؤوسهم إذا وقعت على جماجمهم، وأخبرتهم عن سيف الدولة بما علموا من إقدامه وشجاعته وصبره في الحرب، وبما جهلوا منه، لأنهم لم يعرفوا ما يملكه من اليأس تمام المعرفة، فالسيف قام بتوصيل كل هذه الرسائل إلى الروم.

ويصف الشاعر السيوف وما فعلته بالعدو قائلاً [٣]:

وأَصْــبَحَتْ بِقُــرَى هِنــرِيطَ جَائِلَــةً   تَرْعَى الظُبَى في خَصِيبٍ نَبْتُهُ اللِّمَمُ

([2]) المرجع السابق ٢٤٧

([٢]) المرجع السابق ٢٦٩

([٣]) ديوان المتنبي ٢٧٠

فَمَـا تَـرَكنَ بِهـا خُلْـداً لَـهُ بَصَـرٌ   تَحـتَ التُّـرَابِ ولا بَـازاً لَـهُ قَـدَمُ
ولا هِزَبْـراً لَـهُ مِـنْ دِرْعِـهِ لِبَـدٌ   ولا مَهَـاةً لَهـا مِـنْ شِـبْهِها حَشَـمُ

جالت خيل سيف الدولة في قرى هنزيط ببلاد الروم، وغارت عليهم، وقامت سيوفه في هذا المكان الخصب تقطع الرؤوس، فكان أهل الروم فريقين، فريقاً دخلوا المطامير والأسراب كالفأر وفريقاً صعدوا الجبال واحتموا بها، فلم تترك هذه السيوف أي رومي دخل المطامير تحت الأرض فصار كالخلد، ولم تترك أي رومي تعلق برأس الجبل فصار كالبازي ولا البطل منهم، ولا المرأة الحسناء، فكل هؤلاء قتلتهم السيوف.

ويقول أيضاً في وصف السيوف[1] :

وفِـي أَكُفِّهِـمِ النَّـارُ التِـي عُبِـدتْ   قَبـلَ المَجُـوسِ إلـى ذا اليَـومِ تَضْـطَرِمُ
هِنْدِيَّـةٌ إنْ تُصَـغِّر قَومـاً صَـغُرُوا   بِحَـدِّها أو تُعَظِّـم قومـاً عَظُمُـوا
قاسَـمْتَها تَـلَّ بِطْرِيـقٍ فَكَـانَ لَهَـا   أَبْطالُهـا ولَـكَ الأَطْفَـالُ والحُـرمُ

حمل جيشُ سيف الدولة السيوف، وهي كالنار التي كان المجوس يعبدونها، متألقة قبل زمان المجوس إلى زماننا هذا، وهذه السيوف مصنوعة بالهند، فهي تصغِّر المقتول وتعظم القاتل ويدرك بها العزُّ والشرف. وقد قسَّم سيف الدولة الروم في ذلك البلد الذي أغاروا عليه، فأعطى الأبطال للسيوف، وأخذ لنفسه النساء والأطفال، وذلك يدل على أهمية السيف في المعركة؛ لأنه وُكِّل له الأبطال من الأعداء.

وبعد أن تحدثنا عن وصف السيف، تنتقل لوصف المتنبي للرماح ودورها في هذه الحروب، ويقول الشاعر في وصف الرماح[2]:

قَـوَاضٍ مَـوَاضٍ نَسـجَ دَاوُدَ عِنـدَها   إذا وَقَعَـتْ فِيـهِ كَنَسـجِ الخَـدَرْنَقِ

([1]) المرجع السابق ٢٧١

([2]) ديوان المتنبي ص ٢٢١

هَــوَادٍ لأمْــلاكِ الجُيُــوشِ كأنَّهــا		تَخَيَّــــرُ أرْوَاحَ الكُمــــاةِ وتَنتَقِــــي
تَقُــدُّ عَلِــيهم كُــلَّ دِرعٍ وَجَوْشَــنٍ		وتَفْــرِي إلِــيهم كُــلَّ سُــورٍ وخَنْــدَقِ

إن سيف الدولة لديه رماح تقتل كل من تقصده، وهي تخرق دروع الأبطال بسهولة كأنها تخرق نسج العنكبوت، وهذه الرماح تهتدي إلى أماكن الملوك فتقتلهم، فكأنها تختار الأبطال دون غيرهم، فتأبى إلا خيار العدو وسادتهم، ولا تحصنهم منها أسوار ولا دروع ولا خنادق، فإنها تخترق كل هذه الأشياء وتصل إلى الروم وتقتلهم.

ويصف الشاعر رماح العدو قائلاً [1]:

وقِسِــــيٍّ رُمِيــــتَ بهــــا فَــــرَدَّتْ		فــي قُلُــوبِ الرُمَــاةِ عَنــكَ النِّصَــالا

عندما هرب الروم من سيف الدولة وتركوا أسلحتهم فأخذ المسلمون الرماح وقاتلوا الروم ورموهم بها، فكان ذلك وبالاً عليهم، فردت هذه الرماح في قلوب الذين رموها من الروم.

(1) ديوان المتنبي ص ٢٦٣ .

الفصل الثاني

أثر المعركة

نتناول في هذا الفصل وصف المتنبي لنتائج معارك سيف الدولة مع الروم، وهي تتمثل في إظهار القوي من الضعيف ،وسيطرة الخوف على المهزوم (يدخل تحتها فرار القائد)،وكثرة الخسائر في الأرواح،وسبي النساء،ومظاهر الخراب الذي أصاب ديار العدو،ومكان المعركة ،وبطل المعركة،وفيما يلي تفصيل ذلك:

أولاً: إظهار القوي من الضعيف :

من أهم نتائج المعركة أنها تظهر القوى الشجاع من الضعيف الجبان.

كان سيف الدولة قد سار نحو ثغر الحدث،وقد نازله الدمستق هناك،ودارت بينهما معركة،فقتل سيف الدولة ثلاثة ألاف من رجال الدمستق،وأسر منهم خلقا كثير،وبنا الحدث،فقال المتنبي في هذه الوقعة قصيدته المشهورة التي مطلعها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وفي هذه القصيدة ذكر المتنبي أن الحرب تظهر القوي الشجاع من الضعيف الجبان .فقال:

فَلِلّه وقْتٌ ذَّوبَ الغِشَ نارُهُ فلم يَبقَ إلا صارمٌ أو ضبارِمٌ [١]

---

[١] ديوان المتنبي ، ص٢٤٦

ما كان مموها ومغشوشا هلك وتلاشى لرداءته كأنه ذاب بنار الحرب ، فلم يبق من السيوف إلا السيف القاطع ولم يبق من الرجال إلا الشجاع الجريء ، إن نار الحرب في ذلك اليوم اختبرت الناس وأسلحتهم،فأفنت ما كان رديئا ولم يبق إلا كل سيف صارم ورجل شجاع، وهذه نتيجة طبيعة لكل معركة .

ثانيا:سيطرة الخوف على المهزوم:

ويصف لنا الشاعر هروب قائد الروم من المعركة ، فيقول في ذلك:

سَراياكَ تَتْرَى والدُّمُسْتُقُ هَارِبٌ   وأصَحابُهُ قَتْلَى وأموالُهُ نَهْبَا

أتَى مَرْعشًا يَستقرِبُ البُعدَ مُقْبِلاً   وأَدبرَ إذْ أقبلتَ يَستبعِدُ القُربَا [٢]

جاءت جيوش سيف الدولة متتابعة ، بينما هرب الدمستق قائد الروم من المعركة وقتل أصحابه،ونهبت أمواله ، والدمستق أتى هذا الثغر نشيطا مبتهجا، فلما أقبلت جيوش سيف الدولة عليه ولى مدبرًا، وهو يرى القريب بعيدا خوفاً وذعراً أن يدركه سيف الدولة والدمستق ولى هارباً بعد أن رأى أصحابه قتلوا، وعرف قوة وبسالة سيف الدولة ورجاله؛ لذلك هرب ونجي بنفسه ويقول أيضاً :

ولكنَّهُ ولَّى وللطَعْنِ سَورَةٌ   إذا ذَكرتْها نَفسُهُ لَمِسَ الجنْبَا

وخلَّى العَذارَى والَبطارِيقَ والقُرَى   وشُعثُ النصارَى والقَرابِينض والصُّلبا .[١]

---

[٢] ديوان المتنبي ، ص ٢١٠

[١] ديوان المتنبي ، ص ٢١٠

انهزم الدمستق وللطعن في أصحابه حدة إذا تذكرها لمس جنبه قائلاً : هل أصابني شيء منه ؟ أي أنه انهزم مدهوشاً مرعوباً لا يدري ما حاله؟ وهل أصابته طعنة نافذة ؟ قال بعض الشرّاح: إنه هرب وبقي من دهشته لا يدري ما يصنع، فكان يلمس جنبه باحثاً عن روحه بين جنبيه من الذهول والفزع ؛ فقد انهزم وترك العذارى وقواد الروم ، ولم يلتفت إلي هؤلاء لهول ما رأى .

يستمر الشاعر في وصف هروب قائد الروم فيقول :

لعلَّكَ يوماً يا دُمُسْتُقُ عائِدٌ فكم هارِبٍ مِمَّا إليه يؤولُ

نجوتَ بإحدَى مُهجتَيكَ جرِيحةً وخلَّفتَ إحدَى مُهجتَيكَ تَسِيلُ [٢]

يخاطب الشاعر الدمستق بعد هروبه قائلاً: لعلك يا دمستق تعود إلينا يوما فيلحق بك الهلاك الذي أنت صائر إليه مهما حاولت الهرب منه، فهذا تهديد له : أي أنك تعود فتؤسر أو تقتل ، وذلك أن سيف الدولة جرح وجه الدمستق في هذه المعركة ، فنجا بنفسه وترك ابنه في يد الهلاك . فهو وإن نجا بسلامة إحدى مهجتيه إلا أنه يُعد هالكاً بهلاك مهجته الأخرى (ابنه) ؛ فقد جعل الشاعر ابنه بمثابة مهجته الثانية لمكانته الرفيعة عنده، وهذا يؤلم القائد .

ويقول أيضاً:

أتُسلِمُ للخَطِيَّةِ ابنكَ هارِباً ويَسكُنُ في الدُّنيا إليكَ خَلِيلُ

بِوَجهِكَ ما أنْساكَهُ مِنْ مُرِشَّةٍ نَصِيرُكَ مِنها رَنَةٌ وعَوِيلُ [١]

---

[٢] ديوان المتنبي ، ص ٢٢٩

يعير الشاعر الدمستق بفراره مخلفاً وراءه فلذة كبده مما أورثه عاراً،وسببت تباعد بينه وبين الناس فلا يطمئن لصحبته أحد. قد جعل الشاعر الضربة التي أصابت قائد الروم جعلها تنسيه ابنه من شدتها.

ويستمر الشاعر في وصف ذلك الهروب .فيقول :-

ويَفهضمُ صَوْتَ المَشْرَفِيَّةِ فِيهم   عَلَى أنَّ أصواتَ السُّيوفِ أعاجِمُ

يُسَرُ بِما أَعطاكَ لا عَن جَهالَةٍ   ولَكِنَّ مَغْنُوماً نَجا مِنكَ غَانِمُ (٢)

إذا سمع الدمستق صوت وقع السيوف في أصحابه، فهِم أنها تقتلهم فجدّ في الهرب فرحاً بنجاته وحده،غير آبه بما خلفه وراءه من جنده وعتاده وممتلكاته، وذلك مما يشين الدمستق . وليس سروره جهلاً بحالته؛ ولكنه حين نجا برأسه غانما (وان كان مغنوماً) لم يأبه لنجاة جنده،وهذا يدل على جبنه وخوفه.

وهرب ابن شميشق أحد قواد الروم واختبأ بين الأشجار فقال المتنبي في ذلك:

فلا سَقَى الغَيثُ ما وَارَاهُ مِنْ شَجَرٍ   لوَ زَلَّ عنه لَوَارتْ شَخْصَهُ الرَّخَمُ . (١)

يدعو المتنبي لذلك الشجر الذي اختبأ وراءه القائد الهارب بألا يسقيه الغيث،ويقول لولا ذلك الشجر الذي أخفاه لقتل وتوارت جثته بين أسراب طير الرخم.

وفي موضع آخر يصف المتنبي هروب قائد الروم بقوله :

---

(١) ديوان المتنبي ص ٢٢٩

(٢) ديوان المتنبي ص ٢٤٧

(١) ديوان المتنبي .ص ٢٧٢

أَجَلٌّ مِنْ وَلَدِ الفُقَّاسِ مُنْكَتِفٌ   إذْ فَاتَهُنَّ وأَمْضَى منه مُنصَرِعٌ (٢)

وصف الشاعر سرعة هروب الدمستق بأنها فاقت سرعة الخيل – على سبيل المبالغة– والذي يقرأ هذا البيت يعرف أن الدمستق هرب بكل ما لديه من قوة، وهذا كله خوفاً من سيف الدولة ورجاله ، ويقلل الشاعر من شأن الدمستق ويقول :إن الأسير أفضل منه، وكذلك أفضل منه المقتول الذي صمد وقاتل حتى قتل .

يصف الشاعر صورة لخوف العدو والفزع الذي لحق بالدمستق من جراء القتال مع سيف الدولة فيقول:

وما نَجَا مِنْ شِفَارِ البِيضِ مُنَفَلِتٌ   نجا ومِنْهُنَّ في أَحْشائِهِ فَزَعُ

يُبَاشِرُ الأمْنَ دَهْراً وهُوَ مُخْتَبَلُ   ويَشْرَبُ الخَمرَ حَولاً وهو مُمْتَقَعُ (٣)

الأبيات السابقة تصف نوعاً من أنواع الخوف الذي حل بنفوس الذين نجوا من الموت من جيش العدو،وهو خوف يلازمهم حتى إذا أمنوا أو شربوا الخمر لتناسبه.ويصف المتنبي خوف الروم قائلاً:

فإنْ كان خَوفُ القَتَ◌َ◌َ◌َ◌َ◌ْلِ والأَسرِ سَاقهُم   فَقَد فَعَلُوا ما القَتْلُ والأَسْرُ فاعِلُ

فَخافُوكَ حَتَى ما لِقَتْلٍ زِيادَةٌ   وجَاؤُوكَ حتَى ما تُرادُ السَّلاسِلُ (١)

---

(٢) ديوان المتنبي ص ٢٠١

(٣)المرجع نفسه والصفحة نفسها

(١) ديوان المتنبي ص٢٣٩

إن كان الذي ساق الروم إلى سيف الدولة هو خوفهم القتل والأسر من جهته، فقد فعلوا بأنفسهم مالا يفعل القتل أكثر منه ، فهم خافوه خوفاً أشد وقعاً من القتل، وجاءوا إليه طائعين حتى لا يحتاج في أسرهم إلي سلاسل.

وفي موضع آخر يصف المتنبي الخوف الذي أصاب الروم فقال:

ما مضَوْا لَمْ يُقاتِلُوكَ ولَكِنَّ القِتالَ الذي كَفاكَ القِتالا (٢)

لم ينهزم الروم عن سيف الدولة غير مقاتلين؛ ولكن القتال الذي قاتلهم قبل هذا كفاه القتال الآن ، يعني أنهم قد بلوه قبل هذا فأشعرت قلوبهم الرعب فخافوه الآن، فانهزموا ومضوا ، وهزيمة الروم دون قتال تدل علي معرفة الروم بسيف الدولة معرفة تامة يترتب عليها تجنب القتال لمعرفتهم بما سيحدث لهم إذا قاتلوه .

ويفصّل الشاعر أوصاف حال الروم وخوفهم فيقول :

أَبْصَرُوا الطَّعنَ في القُلُوبِ دِراكاً قَبلَ أَنْ يُبصِرُوا الرِّماحِ خَيالا

وإذا حاوَلَتْ طِعَانَكَ خَيْلٌ أَبْصَرَتْ أَذْرُعَ القَنا أَمْيَالا (٣)

إن الروم لشدة خوفهم من سيف الدولة وتصورهم ما صنع بهم قديماً، رأوا الطعن متتابعا في قلوبهم تخيلاً قبل أن يروا الرماح حقيقة ، ويخاطب الشاعر سيف الدولة قائلاً : إذا

---

(٢) المرجع السابق ،٢٦٣

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها

أرادت جيوش الأعداء طعانك خُيِّل إليهم الرعب وشدة الخوف أن الذراع من رماحك ميل؛ فتوقعوا أن تدركهم رماحك ولو كانوا علي أميال.

ويتحدث عن الخوف قائلاً :-

بَسَطَ الرُّعبُ في اليمِينِ يَمِيناً   فَتوَلَّوْا وفي الشِّمَالِ شِمَالا

يَنفُضُ الرَّوْعَ أيدياً ليسَ تَدْرِي   أَسُيُوفاً حَمَلْنَ أمْ أَغْلالا [١]

إن الرعب شاع فيهم وعم في ميمنة جيشهم وشماله فتولوا هاربين . فينفض من أيديهم السلاح فيسقط ، حتى كأن سيوفهم في أيديهم أغلال يملكها سيف الدولة وموانع يمنعهم من التصرف بها.

ويقول في موضع آخر :

ومَنٌّ لفُرْسانِ الثُّغورِ عَلَيهِمِ   بِتَبْلِيغِهِمْ مالا يَكادُ يُرامُ

كَتائِبُ جَاؤوا خَاضِعِينَ فأَقْدَمُوا   ولَوْ لَمْ يَكُونُوا خَاضِعِينَ لَخامُوا [٢]

كان الروم قد وسّطوا فرسان الثغور – وهم فرسان طرسوس وأذنه والمصيصة – لدى سيف الدولة في طلب الهدنة، وأن يؤخر الحرب عنهم أياماً ، وذلك مالا يكادون يقدرون على طلبه بأنفسهم ، فبلغهم ما لم يكونوا يتوقعونه ، بفضل شجاعة هؤلاء الفرسان ، فلهؤلاء الفرسان المنّة ، اذ بلغوهم ما لم يكونوا ليبلغوه بأنفسهم . فقد وصل الروم درجة من الخوف

---

[١] ديوان المتنبي ص٢٦٣

[٢] ديوان المتنبي . ص ٢٤٩-٢٥٠

لا يستطيعون معها مواجهة سيف الدولة في السلم لطلب الهدنة ، بل حتى الفرسان الذين وسّطهم الروم جاءوا إلي سيف الدولة في خضوع لأنهم على علمٍ بسيف الدولة ورجاله.

ويقول المتنبي في مهابة الروم لسيف الدولة :

والثّباتُ الذي أَجَادُوا قدِيماً   علَّمَ الثَّابِتِين ذا الإجْفَالا [٣]

إن الأوائل من الروم الذين أجادوا الثبات في الحرب مع سيف الدولة لم يغنِ عنهم ثباتهم ،وأدى إلى هلاكهم؛ وذلك الثبات علّم هؤلاء أن يفروا منه؛ خشية أن يحل بهم ما حل بالذين سبقوهم، يريد بهذه الأبيات أن يبين أن أهل الروم شجعان أهل حرب ،ولكنهم لا يقاومون سيف الدولة . وهذا أقوى في مدح سيف الدولة.

ويقول في موضع آخر:

تَحمِلُ الرِّيحُ بَينَهُم شَعرَ الهامِ   وتَذْرِي علَيهِم الأَوصَالا

تُنذِرُ الجِسمَ أنْ يُقِيمَ لدَيها   فَتُرِيهِ لِكُلِّ عُضْوٍ مِثَالا [١]

لم يبعد عهد ذلك المكان بالقتل، فشعر القتلى وأعضاؤهم لا تزال باقية هناك، تحملها الريح وتلقيها عليهم فيفزعهم ذلك وينفرهم من ذلك المكان. وقد أشار بذلك إلي وقعة سيف الدولة مع الروم عند بنائه الحدث، ولم تكن بعيدة من هذه الوقعة، فلما اشرفوا علي موقع تلك الوقعة

---

[٣] ديوان المتنبي ص ٢٦٣

[١] المرجع نفسه والصفحة نفسها

وذكـروا عظـم تلـك البليـة فأشـفقوا مـن أن يعـاودهم سـيف الدولـة بمثلهـا فولـوا مـدبرين.

ويصف الشاعر هروب الروم من سيف الدولة ومن المعركة فيقول:

وْاستَجَرُّوا مكايِدَ الحربِ حتَّى تَرَكُوها لها علِيهِم وَبَالا [١]

قد جرّ الروم ألات الحرب إلى القلعة، ثم انهزموا عنها فهربوا وتركوا هذه الآلات ، فكانت وبالا عليهم ، لان أهل قلعة الحدث تعقبوهم وأخذوا معهم ما تركوه من سلاح وحاربوهم به.

لم يرض الدمستق بالهزيمة فقال الشاعر في ذلك:

رَضِينا والدُّمُسْتُقُ غَير راضٍ بِما حَكَمَ القَوَاضِبُ والوَشِيجُ [٢]

لقد رضي سيف الدولة وجيشه بما حكمت به السيوف القواطع ، لأنها حكمت له بالفوز والظفر وحكمت على الدمستق وجنوده بالهزيمة والفشل فلذلك لم يرض .

يعتبر الشاعر أن هزيمة الروم إنما هي هزيمة للشرك عامة، فعبر عن ذلك بقوله:

ولستَ مَلِيكا هازِماً لِنظِيرِهِ ولكنَّكَ التَوحِيدُ للشّركِ هازِمُ [٣]

ليست تعتبر هزيمة سيف الدولة للدمستق هزيمة ملك لملك مثله، وإنما هي هزيمة التوحيد للشرك إذ يدافع سيف الدولة عن حمى الإسلام، بينما يقود الدمستق أهل الشرك ملته.

ويصور لنا الشاعر جيش الروم حال انهزامهم فيقول:

فكانَ أَثْبَتُ ما فِيهِمْ جُسُومَهُمُ يَسْقُطْنَ حَولَكَ والأَرَوَاحُ تَنْهَزِمُ [٤]

---

[١] ديوان المتنبي . ص ٢٦٣

[٢] ديوان المتنبي ص ١٩٩

[٣] ديوان المتنبي ، ص ٢٤٨

ثبتت أجسام العدو أمام سيف الدولة، لأنه لم يترك لهم سبيلا إلي غيره، فسقطت حوله الأجسام وانهزمت أرواحهم .

وعاد جيش الروم بالخيبة والحرمان من الانتصار على سيف الدولة. فيقول الشاعر في ذلك:

حُرِمُوا الذي أَمَّلُوا وأجرَكَ مِنْهُمُ   آمالَهُ مَنْ عادَ بِالحِرمانِ [١]

قد حُرم الروم ما أُملوا من الظفر من سيف الدولة، فصار من عاد منهم إلي بيته بالحرمان يعد نفسه مدركاً أمله ، لأنه نجا بنفسه. (وعاد) تروي (عاذ) بالذال المعجمة من عذت بالشيء : امتنعت به. وعلي هذه الرواية يكون المعني : أدرك أمله منهم من لجأ إلي القبول بالحرمان فترك الحرب وسلم بنفسه .

ثالثاً : **الخسائر في الأرواح**:

من نتائج المعركة الخسائر في الأرواح،وفيها يصور الشاعر قتلى الروم فيقول:

مُخَضَّبةٌ والقَومُ صَرعَى كأنَّها وإنْ لَم يَكُونُوا ساجِدِينَ مَسَاجِدُ [٢]

إن هذه البلاد تلطخت بدماء الروم كأنها مساجد مخلقة، أي مطلية بالخلوق– وهو ضرب من الطيب – وهم مقتولون طريحون فيها كأنهم سجّد على الأرض وان لم يسجدوا حقيقة.

قتل سيف الدولة الروم قتلا شنيعاً فلم يترك إلا النساء ، يقول الشاعر في ذلك:

---

[٤] ديوان المتنبي ص٢٧١

[١] ديوان المتنبي ص ٢٦٧

[٢] ديوان المتنبي ص٢٠٥

فَلَمْ يَبْقَ إلاّ مَنْ حمَاهَا مِنْ الظُّبَا 		لمي شَفَتَيْهَا والثُّدِيُّ النَوَاهِدُ [٣]

إن سيف الدولة أعصف بالروم وأتى عليهم فقتل جميع الرجال ولم يترك إلا النساء ، وذكر سبب تركه للنساء وهو لمى شفتيها وصدرها الناهد وهو المعني النسوي.

يذكر الشاعر كثرة قتلي الروم فيقول ذلك :

يُطَمِّعُ الطَّيْرَ فِيهِم طُولُ أكْلِهِم 		حتّى تَكَادَ عَلَى أحْيَائِهِم تَقَعُ [١]

إن طول أكل الطير من لحوم قتلاهم أغرى الطير بهم ، فقد ألِفت لحومهم حتى تكاد تقع علي لحوم الأحياء منهم.

ويقول :

وقد سَارَ في مَسْراكَ مِنْها رَسُولُهُ 		فما سارَ إلاّ فَوقَ هامٍ مُفَلَّقِ [٢]

يذكر الشاعر كثرة قتلى الروم في أرضهم، وأن رسول ملكهم سار إلي سيف الدولة عند قصده إياه،فما سار إلا فوق رؤوس القتلى ،فقد عبر الشاعر عن كثرة القتلى من الروم بأن الأرض مليئة بقتلاهم فلم يكن بها مكان إلا وفيه قتيل من الروم .

ويستمر الشاعر في وصف قتلى الروم ويذكر تعميم قتلهم فيقول :

وهل تَرَكَ البِيضُ الصّوارِمُ مِنهُم 		أسِيراً لِفادٍ أو رَقِيقاً لِمُعتَقِ

لقدْ وَرَدُوا وِرْدَ القَطا شَفَرَاتِهَا 		ومَرُّوا عَلَيْها رَزْدقاً بعد رَزْدَقِ [٣]

---

[٣] ديوان المتنبي ص ٢٠٦

[١]) ديوان المتنبي ، ص ٢٠١

[٢] ديوان المتنبي ص ٢٢٢

إن سيف الدولة عممهم بالقتل فلم يترك أسيراً يُفدى أو عبداً يُتق، وأنهم وردوا شفرات السيوف – حد السيوف – كما ترد القطا مناهل الماء ودمروا صفا بعد صف حتى أفناهم ، حتى أنه لم يترك منهم أحد حتى يؤسر ولا عبدا حتى يُعتق، وقد شبه ورودهم على حد السيوف بالقطا عندما ترد؛ لأنها عندما ترد الماء تكون سريعة متلهفة.

وعن كثرة القتلى يقول الشاعر:

يُفَدِّي أَتَمُّ الطَّيرِ عُمراً سِلاحَه　　　　نُسُورُ الفَلا أَحْداثُها والقَشَاعِمُ [١]

يفدي سيف الدولة عمر النسور صغارها وكبارها وتقول لأسلحته فديناك بأنفسنا، لأنها كفتها حاجتها في طلب الأقوات لكثرة قتلي الروم في وقائعه. فقد عبر الشاعر عن كثرة قتلي الروم بأنهم أصبحوا طعام للطيور واكتفت هذه الطيور من قتلي الروم وذلك لكثرتهم.

جعل الشاعر اضطراب الفتنة في الحدث جنوناً لها حيث يقول:

وكانَ بِها مِثْلُ الجُنُونِ فأَصْبَحَتْ　　　　ومِنْ جُثَثِ القَتْلَى عَلَيْها تَمَائِمُ . [٢]

إن الروم أتوا الحدث يقصدونها ويحاربون أهلها، فلا تزال الفتنة بها قائمة ، فلما قتل سيف الدولة الروم وعلّق القتلى على حيطانها، سكنت الفتنة وسلم أهلها، فجعل جثث القتلى كالتمائم عليها ، حيث أذهبت ما بها من الجنون .

قتل سيف الدولة الروم علي جبل الحدث،يصف الشاعر هذه الصورة. فيقول:

---

[٣] المرجع فسه والصفحة نفسها

[١] ديوان المتنبي ص٢٤٥

[٢] المرجع نفسه والصفحة نفسا

نَثَرْتَهُمُ فَوقَ الأُحَيْدِب كُلِّهِ كما نُثِرَتْ فوقَ العَرُوسِ الدَّراهِمُ

تَدُوسُ بِكَ الخَيْلُ الوكُورَ عَلَى الذُّرَى وقد كَثُرَتْ حَولَ الوكُورِ المَطاعِمُ [٣]

نثر سيف الدولة جثث الروم فوق جبل الحدث، كما تنثر الدراهم علي العروس،يعني: تفرقت مصارعهم علي هذا الجبل كما تتفرق مواقع الدراهم إذا نثرت فوق العروس.قال العكبري [١]: "وهذا من محاسن أبي الطيب ، وقد أشار بهذا إلي أن سيف الدولة تحكّم في الروم قتلاً وأسراً ونثر جثثهم فوق هذا الجبل نثرا " ويواصل الشاعر خطابه لسيف الدولة قائلاً : وانك تتبعهم بخيلك في رؤوس الجبال حيث وكور الطير فتقتلهم هناك حتى تكثر مطاعم الطيور حول وكورها ، وعبارة بعض الشراح: تدوس بك الخيل في آثار الروم، وقد كثرت الجثث من القتلى حول الوكور بكثرة من قتلته هنالك فرسانك من الروم ، ودل ذلك على كثرة القتلى حول وكور الطير، وما تبقى من الروم أسرعوا في الهرب ، وأنهم قتلوهم في رؤوس الجبال ، لفظة "نثرتهم" تعطي معني الكثرة لان النثر يكون كثيرا ويعطي التقارب الزمني للمنثور، وهذا يعني أن سيف الدولة يقتل الروم بأعداد كبيرة في زمن بسيط وهذه من روائع الشاعر .

ويصف الشاعر مقتل الروم وكثرة دماءهم فيقول:

هَيهات عاقَ عَنِ العِوادِ قَوَاضِبٌ كَثُرَ القَتِيلُ بِها وقلَّ العانِي

قد سَوَّدَتْ شجرَ الجِبالِ شُعُورُهُم فكأَنَّ فِيه مُسِفَّةَ الغِرْبانِ

---

[٣] ديوان المتنبي ص٢٤٧

[١] ديوان المتنبي بشرح العكبري ص ٣٨٩

وجرَى علَى الوَرَقِ النَجِيعُ القانِي   فكأَنَّهُ النَّارَنْجُ في الأَغْصانِ [٢]

بعدما أمّل الروم في العودة إلى القتال، فقد عاقهم عن ذلك السيوف التي كثرت بها قتلاهم، وقل من يؤسر أو يجرح ولا يموت ، وقد كثرت قتلاهم حتى أطارت الريح شعورهم علي أشجار الجبال حتى اسودّت بها فكأنها الغربان السود، ولما جرت دماؤهم علي ورق الشجر احمّر ، فصار لحمرته كأنه النارنج في الأغصان .

جعل الشاعر السيوف تمنع الروم من العودة إلي المعركة وذلك بقتلها لهم، وقد استخدم الشاعر التشبيه لتوصيل الصورة فقد شبه شعورهم على الشجر بالغربان وشبه دماؤهم الجارية بالنارنج. فقد وفق الشاعر لرسم صورة تحكي ما حدث.

رابعاً :سبي النساء

يعتبر سبي النساء إحدى الخسائر التي تعرّض لها الروم جراء هذه الحروب، فالمتنبي يصور لنا ذلك السبي فيقول :

تُبَكِّي علِيهِنّ البَطارِيقُ في الدُّجَى   وهُنَّ لَدَيْنا مُلقَيَاتٌ كواسِدُ [١]

إن سيف الدولة أسر بنات قواد الروم ، وهن لديه مطروحات ذليلات لا يّرغب فيهن .

ويقول أيضا :

للسَّبِي ما نَكحُوا والقَتْلِ ما وَلَدُوا   والنَّهبِ ما جَمَعُوا والنَّارِ ما زَرعُوا [٢]

---

[٢] ديوان المتنبي . ص٢٦٨

[١] ديوان المتنبي ،ص٢٠٦

[٢] المرجع السابق ، ص

نزل سيف الدولة بضواحي خرشنة بالروم، فنكل بالروم فسبى نساءهم، وقتل أولادهم، ونهب أموالهم، وأحرق زرعهم. ويقول الشاعر أيضا :

وأَمْسَى السَبايَا يَنْتَحِبْنَ بِعِرقَةٍ   كأَنَّ جُيُوبَ الثَّاكِلاتِ ذُيُولُ (١)

وأصبح الجواري اللائي سبين من الروم يبكين بعرقه – بلد بالشام – وقد شققن جيوبهن على مَن فقدن مِن قتلاهن حتى تدلت هذه الجيوب إلي الأرض فصارت ذيول.

وعن كثرة ما سبى سيف الدولة من النساء، وكثرة ما غنم من الروم ، يقول الشاعر :

فَتَلَ الحِبالَ مِنَ الغَدائِرَ فَوقَهُ   وبَنَى السَّفِينَ لَهُ مِنَ الصُّلْبانِ

تَأتِي بِما سَبَتْ الخُيُولُ كأَنَّها   تَحتَ الحِسانِ مَرابِضُ الغِزْلانِ (٢)

اتخذ سيف الدولة حبال سفنه من ذوائب سباياه من نسائهم ، واتخذ خشبها من الصلبان التي استولي عليها من معابدهم وذلك لكثرة ما غنم وسبى ، والذوائب الكثيرة دليل علي كثرة ما سبى من النساء، وأيضا صناعة سيف الدولة لسفنه من الخشب الذي استولي عليها من الروم دليل علي كثرة ما غنم منهم ، إذن سيف الدولة سبى وغنم من الروم الكثير جداً **خامساً**: **خراب ودمار**:

ومن الخسائر التي تعرض لها الروم الخراب والدمار الذي لحق بديارهم ،وبمواطن المعركة، فوصف الشاعر ذلك الدمار والخراب في كثير من قصائده.من ذلك قوله :–

---

(١) ديوان المتنبي ، ص ٢٢٧

(٢) ديوان المتنبي ص ٢٦٦

حتَّى أقامَ علَى أَرْباضِ خَرْشَنَةٍ   تَشقَى بِها الرُّومُ والصُّلبانُ والبِيَعُ [١]

ما زال سيف الدولة يسرع بجيوشه حتى نزل بضواحي خرشنة ،وقد شقيت به الروم ، لأنه يقتلهم ويحرق صلبانهم ويخرب بيعهم ويقول :

عَبَرْتَ تَقْدُمُهُمْ فِيهِ وفي بَلدٍ   سُكَّانُهُ رِمَمٌ مَسكُونُها حَمَمُ [٢]

يخاطب الشاعر سيف الدولة قائلاً له : عبرت النهر متقدما رجالك، وفيما قصدت إليه من ذلك البلد الذي قتلت أهله، فصاروا عظاماً بالية وأحرقت أهله فصاروا رماد وفحم، وذلك البلد هو (تل بطريق)

---

[١] ديوان المتنبي ص٢٠٠

[٢] ديوان المتنبي ص ٢٧٠

سادساً: بطل المعركة :

بطل المعركة هو إحدى نتائج المعركة ، لأن نتيجة المعركة هي التي تحدد لنا القائد البطل ، لذلك رأيت أن أذكر صفات بطل المعركة باعتبارها إحدى نتائج المعركة ، وكان بطل المعركة في أغلبية هذه المعارك هو سيف الدولة. لذلك ،تعرضت لصفاته التي ذكرها الشاعر. وتتمثل هذه الصفات في: الشجاعة، والقوة وقتله للأعداء ، والكرم ، ومنزلته بين الملوك ، ومجاراة الملوك له، وقوة عزيمته ، وتدبيره للأمور ، وتخويفه للعدو.

يصف الشاعر سيف الدولة بالشجاعة والقوة فيقول :-

وما الفَرقُ ما بَينَ الأنامِ وبَينَهُ   إذا حِذَرَ المَحذُورَ واستصْعَبَ الصَّعْبا

لأمْرٍ أعَدَّتْهُ الخِلافَةُ للعِدَى   وَسَمَّتْهُ دُونَ العالمِ الصَّارِمِ العضْبا [١]

لا فرق بين سيف الدولة وبين غيره، وأي ميزة يمتاز بها عما سواه إذا كان يخشى ما يخشاه؟إنما ينفصل عن الغير ويفضلهم لأنه لا يخشى شيئا ، ولا يستصعب عليه أمر مهما كان ، وأن الخلافة لم تعدته لأعدائها، وتسميه سيف الدولة دون غيره ؛إلا لأمر عظيم ، وذلك لأنه بلغ من الشجاعة والحزم والسياسة مبلغا لم يبلغه أحد .

يستمر الشاعر في وصف سيف الدولة بالبطولة فيقول:

فلا زَالَتْ عُداتُكَ حيثُ كانَتْ   فَرائِسَ أَيُّها الأسَدُ المَهِيجُ

عَرَفْتُكَ والصُّفُوفُ مُعَبَّآتٌ   وأنتَ بِغَيرِ سَيفِكَ لا تَعِيجُ [٢]

---

[١] ديوان المتنبي ص ٢١٠

يخاطب الشاعر سيف الدولة قائلاً : لا زالت عداتك أيها الأسد فرائس لك حيثما كانت ، وقد وصفه الشاعر وكان خارجاً من صفوف جيشه وهو يدير رمحه فقال في ذلك المشهد : عرفتك والصفوف معبأة من حولك. وأنت لا تبالي إلا بسيفك ، يشير إلى أنه لا يهتم بجنده وبتعبئته ، وأنه شجاع لا يعبأ إلا بسيفه ويقول :-

وَوَجْهُ البَحرِ يُعْرَفُ مِنْ بَعِيدٍ   إذا يَسْجُو فكَيفَ إذا يَمُوجُ

بأرَضٍ تَهلِكُ الأشْوَاطُ فِيهَا   إذا مُلِئَتْ مِنَ الرَّكضِ الفُرُوجُ [١]

إن العدو عرف سيف الدولة بالشجاعة والقوة ،وهذا في غير الحرب، فكيف يكون حاله في الحرب؟ فهو يهلك كل من يقف أمامه مهما كان العدد.

ويقول أيضاً:

وفِينا السَّيفُ حَملَتُهُ صَدُوقٌ   إذا لاقَى وغارَتُهُ لَجُوجُ [٢]

فسيف الدولة إذا حمل على الأعداء صدق في حملته ، وما جبن عن اللقاء، وإذا أغار عليهم دامت غارته عليهم زمناً فلا يقف حتى يعصف بهم. فقد وصفه هنا بالشجاعة عند اللقاء. وبالصدق في حملته علي الأعداء . ويقول أيضاً :-

فلا تَعجبا إنَّ السُّيُوفَ كَثِيرةٌ   ولكِنَّ سَيفَ الدَّوْلَةِ اليَومَ واحِدُ [٣]

---

[٢] ديوان المتنبي ص ١٩٩

[١] ديوان المتنبي ، ص١٩٩

[٢]المرجع نفسه والصفحة نفسها

[٣] ديوان المتنبي ص٢٠٥

إن الملوك كثيرون ولكن اليوم لا ملك إلا سيف الدولة.وهذا يدل على قوته وشجاعته.

ويصف المتنبي سيف الدولة بصفقات القائد البطل فيقول :-

وأنَّ دَمَاً أجْرَيْتَهُ بِكَ فاخِرٌ   وأنَّ فُؤاداً رُعتَهُ لكَ حامِدُ

وكُلٌّ يَرَى طُرْقَ الشَّجاعَةِ والنَّدَى   ولكِنَّ طَبعَ النَّفسِ للنَّفسِ قائِدُ [١]

ومن شرف الإقدام أن الدم الذي يسفكه سيف الدولة يفخر بأنه سّفك بيده ، وأن القلب الذي يخيفه يحمده بشجاعته ، وكل شخص يعرف طرق الشجاعة والكرم ؛ لأنه لا خفاء بهما ، ولكن لا يسلك طريقهما إلا من قادته نفسه إليهما وكان مطبوعاً عليهما .

يصف الشاعر سيف الدولة بالشجاعة والبطولة فيقول::

فأنتَ حُسامُ المُلكِ واللهُ ضارِبٌ   وأنتَ لِواءُ الدِّينِ واللهُ عاقِدُ

وأنتَ أبُو الهَيْجاءِ بنُ حَمدان يا ابنَهُ   تَشابَهَ مَولُودٌ كَرِيمٌ ووالِدُ [٢]

سيف الدولة بالنسبة للحكم بمنزلة السيف للحكم ، ولكن الضارب به هو الله ، وأنه للدين راية الله سبحانه الذي عقدها وأحكمها.فقد أشبه سيف الدولة أباه وأبو الهيجاء(كنية والد سيف الدولة)، يريد قوة الشبه بينهما ، حتى كأنه هو؛ وذلك قوله "تشابه مولود ووالد "

وفي موضع آخر يقول:

وفارِسُ الخَيلِ مَنْ خَفَّتْ فَوَقَّرَهَا   في الدَّربِ والدَّمُ في أعْطافِهِ دُفَعُ

---

[١] ديوان المتنبي ص ٢٠٦

[٢] المرجع نفيه والصفحة نفيها

وأَوْحَدَتْهُ وما في قَلبِهِ قَلَقُ وأَغْضَبَتْهُ وما في لفظِهِ قَذَعُ [٣]

إن سيف الدولة عندما أرادت خيله الهزيمة، ثبتها في مدخل بلاد الروم وهي كانت قد أسرعت إلي الهزيمة فزعاً ، وكان الدم ينصب على جوانبها دفعةً بعد دفعة ، وهى قد تركته وحيداً فلم يقلق،وعندما أغضبته لم يكن في لفظه فحش، يريد إذا اجتمعت الخيل الموصوفة بالفروسية كان أفرسهم، فتركته وحيداً وتفرقت عنه فلم يقلق لشجاعته ، وأغضبته بانحيازها عنه فلم يكن في لفظه فحش ، أي انه شجاع وان كان وحده وحليم عند الغضب ،وإن سيف الدولة لا ينهزم بانهزام من حوله، بل يقاتل حتى لو أصبح وحيداً وهذه من صفات القائد الناجح. ويتحدث عن عز سيف الدولة قائلاً:

بالجَيشِ تَمْتَنِعُ السَّاداتُ كُلُّهُمُ والجَيشُ بابنِ أبي الهَيجاءِ يَمْتَنِعُ [١]

إن عز الملوك ومنعتهم بجيوشهم؛ لأنهم بهم يقوون ويمتنعون علي أعدائهم ، ولكن عز جيش سيف الدولة به ؛ لأنهم لا يمتنعون علي عدوهم إذا لم يكن فيهم ، فهو عزهم وبه منعتهم .

ويصف الشاعر سيف الدولة بالشجاعة ولكن بعد التجربة. فيقول في ذلك:

وما حَمِدْتُكَ في هَولٍ ثَبَتَّ لَهُ حتّى بَلَوْتُكَ والأبْطالُ تَمْتَصِعُ

إنَّ السِّلاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحمِلُهُ وليسَ كُلُّ ذَواتِ المِخلَبِ السَّبعُ [٢]

---

[٣] ديوان المتنبي ، ص ٢٠٠

[١] المرجع نفسه والصفحة نفسها

[٢] ديوان المتنبي ص٢٠٣

وصف المتبي سيف الدولة بالقوة و الشجاعة؛وذلك بعد أن جربه في الحرب وشاهد قتاله وهروب الأعداء منه، وليس كل من يحمل السلاح شجاعاً ، كما انه ليس كل ذي مخلب يفترس ، يعني ذلك أن سيف الدولة شجاعا حقاً ، لأنه إذا لم يكن ذلك الوصف عن طريق التجربة لكان ذلك باطلاً، ويكون غرضه التكسب والمصلحة المادية .

ويصف الشاعر سيف الدولة بالشجاعة في الحرب وبالبلاغة في الكلام فيقول :

فلا تُبْلِغاهُ ما أَقُولُ فإنَّهُ شُجاعٌ متَى يُذْكَرْ لَهُ الطَّعْنُ يَشْتَقِ

ضَرُوبٌ بأَطرافِ السُّيُوفِ بَنانُهُ لَعُوبٌ بأطرافِ الكلامِ المُشَقَّقِ (١)

يصف المتنبي سيف الدولة بالشجاعة وأنه صاحب كلام بليغ قادر على الافتنان في القول .

ويصف الشاعر سيف الدولة بالصبر فيقول :

وفي كُلِّ نَفْسٍ ما خلاهُ مَلالَةٌ وفي كُلِّ سَيفٍ ما خلاهُ فُلُولُ (٢)

قد أدرك كل نفس من نفوس جيش سيف الدولة الملل؛ لطول القتال وشدة ما لاقوا ما عدا سيف الدولة، فإنه لا يفتر ولا يمل وكذلك كل سيف في ذلك الجيش قد أتعبه الضرب ، أما هو فلم تكل عزائمه عن متابعة القتال ، فقد وصفه الشاعر بالصبر، وهذه من أهم الصفات التي تتوفر في القائد البطل لأنه بالصبر يصل إلي ما يريد .

يستمر الشاعر في وصف سيف الدولة فيصفه بالشجاعة والقوة فيقول :

---

(١) ديوان المتنبي ص٢٢١

(٢) ديوان المتنبي ، ص٢٢٨

(٣)المرجع نفسه والصفحة نفسها

فلمَّا رَأَوْهُ وَحدَهُ قَبْلَ جَيشِهِ دَرَوْا أنَّ كُلَّ العالمِينَ فُضُولُ

وأنَّ رِماحَ الخَطِّ عَنْهُ قَصِيرَةٌ وأنَّ حَدِيدَ الهِنْدِ عَنْهُ كَلِيلُ

يشير الشاعر إلي أن سيف شجاع تقدم الخيل وحده حتى رأوه قبل أن يروا جيشه، ولما رأوه كذلك علموا انه يغني غناء الناس جميعاً وأن ما سواه من العالمين فضول مع وجوده ، وعلموا أن الرماح لا تصل إليه. وان السيوف تكل عنه فلا تقطعه ، إما لأنها تندفع دونه لعزته ومنعته ، وإما لما يلقيه علي الطاعن والضارب من الهيبة فلا يقدم عليه .

ويقول أيضاً

و إنْ تَكُنِ الأيَّامُ أبْصَرْنَ صَوْلَهُ فَقَدْ عَلّمَ الأيَّامَ كيفَ تَصُولُ

إذا العَرَب العرْباء رازَتْ نُفُوسُهَا فأنتَ فَتَاهَا والمَلِيكُ الحُلاحِلُ (١)

بطش سيف الدولة بالروم بطشاً شديداً،حتى أن الأيام لم تشهد مثل هذا البطش .وسيف الدولة علم الناس الشجاعة والبأس والإقدام.

وإذا اختبرت العرب الخالصة القديمة نفوسهم عند الجود والشجاعة ،علموا أن سيف الدولة هو فتاهم وسيدهم لأنه أجودهم وأشجعهم . بعد أن ذكر الشاعر أن سيف الدولة علم الأيام البأس والشجاعة فذهب في هذا البيت مذهبا آخر في وصفه بالشجاعة وهو انه أشجع العرب بل العرب الخالصة القديمة ، ويقول أيضا :

ويَطلُبُ عِندَ النَّاسِ ما عِندَ نَفْسِهِ وذَلِكَ مالا تَدَّعِيهِ الضَرَاغِمُ (٢)

---

(١) ديوان المتنبي ص٢٢٩

إن سيف الدولة اتصف بالشجاعة التي لم يصلها أي أحد من الملوك آنذاك ،حتى الأسود لم تصل هذه الشجاعة. ويريد سيف الدولة أن يكون الناس مثله في الشجاعة والإقدام.

ويقول :

وَقفْتَ وما في المَوتِ شَكٌّ لِواقِفٍ　　　كأنَّكَ في جَفنِ الرَّدَى وهُوَ نائِمُ

تمُرُّ بِكَ الأبطالُ كَلمَى هَزِيمةً　　　ووَجْهُكَ وَضَّاحٌ وثَغرُكَ باسِمُ[1]

وقف سيف الدولة في ساحة القتال حيث لا يشك واقف في الموت ، لشدة الموقف وكثرة المصارع فيه حتى كأنه في جفن الردى وهو نائم فلم يبصره وغفل عنه بالنوم فسلم ، وعندما تمر أبطال العدو وهم جرحى ومهزومين ووجوههم عابسة، يكون وجهه وضاح وفمه باسم، فهذه صورة للبطولة والشجاعة والقوة والسيادة .

ويقول أيضاً :

تَجَاوَزتَ مِقْدارَ الشَّجاعَةِ والنُّهَى　　　إلى قولِ قَومٍ أنتَ بالغَيبِ عالِمُ

ضَمَمْتَ جَناحَيْهِم عَلَى القَلبِ ضَمَّةً　　　تَمُوتُ الخَوافِي تحتَها والقَوادِمُ[2]

يصف المتنبي سيف الدولة بأنه تناهى في شجاعته، ورجاحة عقله إلى حدٍ جعل الناس يظنون بأنه يعرف أعقاب الأمور قبل حلولها. وفي البيت الثاني يصف حملته على العدو بأنه يطبق عليه من كل جانب ويدمره.

---

(٢) المرجع السابق ، ص٢٤٥

(١)) ديوان المتنبي ص٢٤٦

(٢) ديوان المتنبي ص٣٠٦

ويصف الشاعر مواصلة قتال سيف الدولة للروم وكثرة قتله لهم فيقول :-

أخُو غَزَواتٍ ما تُغِبُّ سُيُوفُهُ   رِقابَهُم إلا وسَيْحانُ جامِدُ

نَهَبْتَ مِنَ الأعْمارِ ما لَو حَوَيْتَهُ   لَهُنِّئَتِ الدُّنْيا بِأَنَّكَ خالِدُ[٣]

سيف الدولة مقيم علي غزو الروم، لا تفارق سيوفه رقابهم، إلا إذا جمد نهر سيحان الموجود ببلاد الروم،لأن ذلك يحول دون غزوه إياهم ، وقد مدحه الشاعر في البيت الثاني مديح موجه؛ وذلك أنه مدحه في المصراع الأول بالشجاعة وكثرة قتله للأعداء فقال : نهبت من أعمار الأعداء بقتلك لهم أعداد كبيرة، وفي المصراع الثاني قال :لو عاش سيف الدولة هذه الأعمار التي نهبها من الأعداء ؛لهنئت الدنيا ببقائه خالداً فيها. قال ابن جني[١] : " لو لم يمدحه إلا بهذا البيت لكان قد بنا له ما لا يخلقه الزمان ".

قد اتعب سيف الدولة أهل الحرب فيقول الشاعر في ذلك:

أَخا الحَرْبِ قد أَتْعَبْتَها فالْهَ ساعَةً   لِيُغْمَدَ نَصلٌ أو يُحَلَّ حِزامُ

وإنْ طالَ أعْمارُ الرِّماحِ بِهُدْنَةٍ   فإنَّ الذي يَعْمُرْنَ عندكَ عامُ[٢]

يصف الشاعر شجاعة سيف الدولة وقتاله للأعداء واستمرار حملته عليهم،وكل هذا دليل على شجاعته وبسالته.

ويذكر الشاعر كثرة ما قتله سيف الدولة من الروم ويقول :

---

(٣)) ديوان المتنبي ص ٢٠٦

(١) الفسر لأبن جني ج٢ ص٨١٢

(٢) ديوان المتنبي ص٢٥٠

أَلْقَتْ إليكَ دِماءُ الرُّومِ طاعَتَها   فلو دَعَوْتَ بلا ضَرْبٍ أجابَ دَمُ

يُسابِقُ القَتلُ فِيهِم كُلَّ حادِثَةٍ   فما يُصِيبُهُمُ مَوتٌ ولا هَرَمُ [٣]

يصور الشاعر كثرة من قتلهم سيف الدولة من الروم ، وجعل دماء الأحياء منهم تطيعه بلا ضرب وذلك إلى ضرب من المبالغة حيث جعل دماء الروم تسيل بغير ضرب ولمجرد دعوة من سيف الدولة ، وأن قتله لهم هو الذي ينهي آجالهم في هذه الدنيا ولا يتركهم يموتون موتاً طبيعياً ولا يصلون إلى الهرم فأعمارهم قصيرة بسبب ذلك.

ويقول أيضاً:

تُهابُ سُيُوفُ الهِندِ وهي حَدائِدُ   فكَيْفَ إذا كانتْ نَزارِيَّةً عُرْبا [١]

إن السيوف تُهاب وهي من الحديد لا عقل لها ولا قوة إلا بالضارب بها، فكيف يكون حالها في الخوف منها إذا كانت عربية نزارية ؟ ! وسيف الدولة عربي نزاري فيكون أحق بالخوف منه .

إن سيف الدولة لايمل الحرب فيقول الشاعر في ذلك :

كُلُّ السُيُوفِ إذا طالَ الضِّرابُ بِها   يَمَسُّها غيرَ سَيفِ الدَّولَةِ السَّأمُ [٢]

إن سيف الدولة لا يسأم ولا يتعب من قتال الأعداء؛لأنه رجل حرب، أما الأبطال الآخرون يتعبون إذا طال القتال أو كثرت عليهم المعارك..

---

(٣) ديوان المتنبي ص٢٧٢

(١) ديوان المتنبي ،ص ٢٠٩

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٩

وعن بأس سيف الدولة يقول الشاعر :

فأَوْرَدَهُم صَدرَ الحِصانِ وسَيْفَهُ   فَتًى بأسُهُ مِثلُ العَطاءِ جَزِيلُ [٣]

يمدح الشاعر سيف الدولة بالشجاعة والجرأة على العدو ،فهو يلقى عدوه مقبلاً لامدبراً حاملاً عليه بسيفه ،يعمله فيه قتلاً وتمزيقا

ويعبر الشاعر عن شجاعة سيف الدولة بشيء آخر هو محاربة النجوم. فيقول ذلك :

وقد زَعمُوا أنَّ النُّجُومَ خَوَالِدٌ   ولَوْ حارَبَتْهُ ناحَ فِيها الثَّوَاكِلُ

قَرِيبٌ عَلَيهِ كُلُّ ناءٍ عَلَى الوَرَى   إذا لَثَمَتْهُ بالغُبارِ القَنابِلُ [١]

إن سيف الدولة شجاع ، حتى لو حاربته النجوم لقام بقتلها ،وأنه لا يعجزه شيء فما كان بعيداً عند الآخرين فهو قريب سهل عند سيف الدولة.

لسيف الدولة هيبة ،وإذا رآه أحد لا يحاربه؛ من هيبته فيقول في ذلك .

أيُّ عَينٍ تأمَّلَتْكَ فَلاقَتْكَ   وطَرْفٍ رَنا إلَيْكَ فآلا [٢]

إن العين التي تتأمل سيف الدولة لا يجترئ صاحبها علي ملاقاته؛ لما يرى من هيبته .

---

[٣] المرجع السابق ، ص ٢٢٨

[١] ديوان المتنبي ، ٢٤٠

[٢] المرجع السابق٢٦٤،

وينتقل الشاعر إلي وصف سيف الدولة بصفات أخرى ، مثل تدبيره للأمور فيقول في ذلك :

تُدَبِّرُ شَرقَ الأرَضِ والغَرْبَ كَفُّهُ وَلَيسَ لها وَقْتَاً عَنِ الجُودِ شاغِلُ [٣]

إن العرب تربط البطولة بصفات أخرى مثل الشجاعة والإقدام وغيرها من الصفات،وأن القائد البطل يجب أن يتصف بهذه الصفات،ومن هذه الصفات الكرم، فكان سيف الدولة كريماً،ففي البيت السابق يربط الشاعر بين بطولته وكرمه ،وأنه ليس هناك ما يشغله عن الكرم،حتى حكمه لشرق الأرض وغربها لم يشغله عن الجود والكرم .

ويستمر الشاعر في وصف سيف الدولة بالكرم قائلاً :

لا تَطلُبَنَّ كَرِيماً بَعدَ رُؤيَتِهِ إنَّ الكِرَامَ بأسْخاهُم يَدَاً خُتِمُوا [١]

متى رأيت سيف الدولة وظفرت به فلا تطلب بعده كريماً ، فلا كريم بعده لأنه خاتمة الكرام إذ هو أسخاهم .

ومن هذه الصفات الأدب، فيصف الشاعر سيف الدولة بالأدب قائلاً:

ولَكِنْ نَفاها عَنهُ غَيرَ كَرِيمَةٍ كَرِيمُ الثَّنا ماسُبَّ قطْ وماسَبَّا [٢]

وسيف الدولة لم تتفرق عنه أعداؤه ولا تركوه حباً له، وإنما نفاهم عن الشام ، أذلاء صاغرين ، وإنه رجل كريم الثناء ما سبَّه أحد لأنه لا يفعل ما يُسب عليه، ولا سبَّ أحداً لأدبه وكرمه .

---

[٣] المرجع السابق٢٤٠

[١] ديوان المتنبي ، ٢٧٢

[٢] المرجع السابق ، ٢١٠

ويصفه أيضاً بمكارم الأخلاق فيقول في ذلك :

ولوْ رَآهُ حَوارِيُّهُم لَبَنَوْا   علَى مَحَبَّتِهِ الشَّرْعَ الذي شَرَعُوا

لو رأى الحواريون سيف الدولة وشاهدوا عدله وإنصافه وكرمه، لأوجبوا محبته وطاعته فيما يشرعون للمسلمين من الشرع .

ويذكر الشاعر أن كل ملك يعود إلى سيف الدولة فيقول في ذلك :

أرَى كُلَّ مُلكٍ إلَيْكَ مَصِيرَهُ   كأنَّكَ بَحرٌ والمُلُوكَ جَداوِلُ [٣]

إن كل مُلك يؤول إلى سيف الدولة مهما كان، فجعل الشاعر سيف الدولة بمثابة البحر وبقية الملوك بمثابة الجداول؛ لأن مياه الجداول تصب في البحر .

ومن الصفات المرتبطة بالبطل ،أن يكون الشخص محبوباً عند قبيلته ،ومفخرة لهم أمام القبائل الأخرى ،فهذه الصفة موجودة لدى سيف الدولة كما ذكر ذلك الشاعر .فقال:

فَتِيهاً وَفَخْراً تَغْلِبَ ابنَةَ وائِلٍ   فَأَنْتِ لِخَيرِ الفاخِرِينَ قَبِيلُ [١]

يخاطب الشاعر قبيلة تغلب قبيلة سيف الدولة قائلا : فتيهي وافخري فانك قبيلة خير من فخر به ، جعل سيف الدولة مفخرة لقبيلته .

ومن صفات البطل أيضاً الرأي السديد ، ونصرة القبيلة،فيقول الشاعر في سيف الدولة:

هَنِيئاً لأهلِ الثَّغرِ رَأيُكَ فِيهِمِ   وأنَّكَ حِزبَ اللهِ صِرتَ لَهُم حِزْبَا [٢]

---

[٣] المرجع السابق ، ص٢٢٦

[١] ديوان المتنبي ، ص ٢٣٠

[٢] المرجع السابق ،٢٠٩

يخاطب الشاعر سيف الدولة قائلاً : هنيئاً حسن رأيك في أهل الثغر، وأنك صرت لهم عونا ونصيراً.

نخلص من هذا البحث إلى أن المتنبي بيّن لنا نتائج معارك سيف الدولة مع الروم ، وقد وصف النصر والهزيمة

الباب الثاني

الدراسة الفنية لقصائد المتنبي

في وصف معارك سيف الدولة مع الروم

الفصل الأول

بناء القصيدة

المبحث الأول : بنـــاء القصيــــدة

نتناول في هذا المبحث مطالع قصائد المتنبي، حيث يصف معارك سيف الدولة مع الروم، من حيث الحُسن والقُبح، ونقف على أسلوبه في التخلص إلى موضوع قصائده، ثم ننتقل إلي الحديث عن الخاتمة.

أ/ المطلـع:

مطلع القصيدة هو أول ما تبدأ به القصيدة من شعر، ومن حق هذا المطلع أن يكون حسناً جميلاً. يقول أبوهلال العسكري(١): "أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان". وحسن المطلع أو براعة الاستهلال وصف جميل يريد منه النقاد أن يكون بدء الكلام قوياً يسترعي الأسماع، بالغ الجودة والإتقان، بحيث يستهوي الألباب لمتابعة موضوعه، ويجتذب النفوس للإقبال عليه. ويقول أبن رشيق(٢): "لأن حسن الافتتاح داعية الإنشراح ومطية النجاح... والشعر قفلٌ ، أوله مفتاح، فينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره؛ لأنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة، وليجعله حلواً ، سهلاً ، وفخماً ، جزلاً".

والشاعر الجيد هو الذي يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص والخاتمة، فيقول الجرجاني في ذلك(٣): "الشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة، فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء". ولا بد أن تكون المطالع حسنة لطيفة؛ لأنها أول ما يُسمع من الشعر، يقول عبده زيادة(٤):"فمن حق

---

(١) الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي– محمد أبوالفضل إبراهيم ، طباعة ونشر دار الفكر العربي ، ط٢، ص ٤٣١.

(٢) العمدة لابن علي الحسن بن رشيق القيراواني الأزردي، بيروت دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، ، ط٥ ١٩٨١م، ص ٢١٧.

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل، ط٣ ، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ص ٤٨.

(٤)الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، تأليف عبده زيادة، تحقيق: مصطفى السقا ومحمد شتا وعبده زيادة ص٤٤

المطالع الحسن والعذوبة لفظاً والبراعة والجودة معنىً، لأنها أول ما يقرع الأذن، ويصافح الذهن".

والمطلع الحسن الجميل، فهو يجعل المستمع أو القارئ يتابع بقية الشعر، فيقول أبو هلال العسكري في ذلك(١): "وإذا كان الابتداء حسنا بديعاً ومليحاً رشيقاً، كان داعية إلي الاستماع لما يجئُ بعده من الكلام".

وقد تحدث الكُتّاب كثيراً عن المطلع، ووضعوا له ضوابط وأُسس، وهذا هو محمد عبد الرحمن شعيب يقول(٢): "وضابط المطلع الجيد لدى النقاد ما ذكره صاحب أسس النقد الأدبي عند العرب في قوله "ما كان بيِّناً واضحاً لا غموض فيه، سهل المآخذ لا تعقيد في تراكيبه، ولا صعوبة في فهم معناه ولا ينافي ذلك أن يكون أسلوبه فخماً جزلاًً، كما اشترطوا لذلك تناسب قسميها بحيث لا يكون شطره الأول أجنبيا عن شطره الثاني، وألاَّ يرتفع شطرها الأول إلي منزلة سامية من حيث المعنى والصياغة وينزل شطرها الثاني عن تلك المنزلة السامية، كما اشترطوا أن يكون الذوق المرهف المهذب مصدرها وينوب عنها فلا يكون فيها ما يُشتَّم منه رائحة تشاؤم أو تطير، وألا تشمل ما لا يصح أن يوجه به الخطاب إلي السامع".

إذا استصحبنا كل ما تقدم من حديث الأدباء والنقاد عن مطلع القصيدة نجد أن بناء مطالع قصائد المتنبي في وصف حروب سيف الدولة مع الروم تختلف من قصيدة إلى أخرى، ففي بعض الأحيان يبدأ بالنسيب وأحياناً يبدأ بالوقوف على ديار المحبوبة،وفي أحيان أخرى يدخل إلى غرضه مباشرةً .

ونبدأ بمطالعه التي عمد فيها إلي غرضه مباشرة، والقصائد التي تصف الحرب غالباً لا تبدأ بغزل أو غيره، بل تبدأ بوصف هذه الحرب مباشرة. يقول بكار في ذلك(٣): "وأما إذا كانت القصيدة في حادثة من الحوادث، كفتح أو هزيمة جيش أو غير ذلك، فإنه ينبغي ألاّ تبدأ بالغزل".

---

(١)الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، مرجع سابق، ص ٤٥٧.

(٢)المتنبي بين ناقديه "في القديم والحديث" ، محمد عبد الرحمن شعيب، دار المعارف للطباعة والنشر ، مصر ١٩٦٤م، ص ١٤٤..

(٣) بناء القصيدة في النقد العربي القديم"في ضوء الحديث" للدكتور يوسف حسين بكار،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،ص ٢١٤..

وكان المتنبي أحياناً يبدأ قصائده بالغرض مباشرة ، ويقول الدكتور عبد الله الطيب[١]: "ولعل المتنبي والشريف الرضي من أمثلة الشذوذ التي تعين على برهنة القاعدة، فكلاهما نفر من الزخرفة شيئاً، ورجع إلي القديم، ... وأما رجعة المتنبي فكانت معنوية، حيث إنه طلب الوضوح والقصد إلى الغرض مباشرة، وقد فطن النقاد إلي هذه الناحية منه، وشبهه ابن رشيق بالفارس الشجاع الجاسر الذي يهجم على مراده ولا يتلطف؛ وما أحسب إلاّ أن نشأة المتنبي البدوية، كانت ذات أثر بليغ في توجيهه إلي هذا الأسلوب".

وكان النقاد يوجهوا الأدباء بأن يكون ابتداء كلامهم يدل على مقصدهم مباشرة، ويقول صاحب الطراز في ذلك[٢]: "وكان النقاد يوجبون على من يتصدى لمقصد من المقاصد أن يكون مفتتح كلامه ملائماً لذلك المقصد، دالاً عليه شعراً كان أم نثراً".

ونبدأ بمطلع هذه القصيدة الجيمية التي يقول فيها المتنبي:

لِهذا اليَومِ بَعدَ غَدٍ أَرِيجُ وَنارٌ فِي العَدُوِّ لَها أَجِيجُ[٣]

تَبِيتُ بِها الحَوَاضِنُ آمِناتٍ وتَسلَمُ في مَسالِكِها الحَجِيجُ

في مطلع هذه القصيدة عمد الشاعر إلي غرضه مباشرة، فقد حرّض جيش سيف الدولة وثبته وحثهم على الهجوم وأنذر العدو بما سينصب عليهم من نار هذه الحرب، وسيكون لهذا اليوم أخبار طيبة تسِر نفوس المسلمين. فهذا المطلع ناسب الموقف، إذ الموقف موقف حرب، والجيش قد صف، والجنود قد تأهبوا، فلا مجال هنا للبدء بالغزل أو الوقوف على الديار أو غيره.

ومن القصائد التي ابتدأها الشاعر بذكر الغرض مباشرة، القصيدة التي يقول فيها المتنبي:

نَزُورُ دِيَاراً ما نُحِبُّ لها مَغْنَى وَنَسأَلُ فِيها غَيرَ ساكِنِها الإِذْنا[٤]

نَقُودُ إلَيْها الآخِذاتِ لَنا المَدَى عَلَيها الكُماةُ المُحسِنُونَ بها ظَنَّا

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط٤، ٢/٢٠٩.

(٢) الطراز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوى اليمني، راجعه وضبطه جماعة من العلماء بإشراف الناشر– الناشر دار الكتب العلمية ، بيروت: لبنان، ٢/٢٦٦.

(٣) ديوان المتنبي ، ص ١٩٩.

(٤) ديوان المتنبي، ص ٢٠٣.

هذه القصيدة قالها المتنبي، عندما تهيَّب جيش سيف الدولة لغزو الروم في مدينة سمندو سنة ٣٤٠هـ، فكانت هذه القصيدة تثبيتاً للجيش، وتحريضاً لهم على القتال، فافتتح المتنبي قصيدته هذه بذكر بزيارة سيف الدولة لديار العدو وأنهم لا يستأذنوا أهلها في الدخول إليها، وهذا يدل على أن الشاعر وضع فيهم الثقة وردَّها إلي قلوبهم، وكانت النتيجة أن إندفع سيف الدولة بهذا الجيش كأنه السيل.

وأيضاً من القصائد التي افتتحها الشاعر بالغرض مباشرة القصيدة التي مطلعها:

عَلَى قدر أهل العَزمِ تأتِي العَزائِمُ وتَأتِي علَى قَدرالكِرامِ المَكارِمُ(١)

وتَعظُمُ فِي عَينِ الصَغِيرِ صِغارُها وتَصغُرُ في عَينِ العَظِيمِ العَظائِمُ

قال الشاعر هذه القصيدة عندما هزم سيف الدولة الروم عند حصن الحدث، ممجداً سيف الدولة، رافعاً من قدر جيشه، وافتتح هذه القصيدة بذكر العزائم والمكارم وأنها تأتي على قدر همة أهلها وشهامتهم، فمن كان عظيم القدر جد أمره، ومضت عزائمه، ومن كان فشلاً اضمحلت عزائمه وبطلت مكارمه. يقصد من ذلك أن سيف الدولة عالي الهمة، قوي العزيمة، عظيم المكارم، لذلك جاءت عزائمه على قدره وذلك بانتصاره على الروم. وهو دخول إلي الغرض مباشرة، وهو وصف المعركة وذكر النتائج.

وأيضاً من القصائد التي افتتحها المتنبي بالغرض مباشرة قصيدته التي يقول فيها:

ذِي المِعالِي فلْيَعلوْنَ مَنْ تَعالَى هَكَذا هكَذا، وإلا فَلا لا(٢)

شَرَفٌ يَنطِحُ النُّجُومَ بَرَوقِيهِ وعِزٌّ يُقَلقِلُ الأَجْبالا

فكان الغرض من هذه القصيدة وصف حال الروم وتمجيد سيف الدولة ،عندما أراد الروم الإغارة على الحدث وعندما علموا بمقدم سيف الدولة هربوا وعادوا خائبين. فقد بدأ المتنبي القصيدة بالحديث عن المعالي، واصفاً معالي سيف الدولة بالسمو والرفعة، ومن أراد أن يعلو إلي المعالي، فليفعل كما فعل سيف الدولة.

ونجد من القصائد التي بدأها المتنبي بالغرض مباشرة قصيدته التي مطلعها:

---

(١) ديوان المتنبي ، ص ٢٤٤.

(٢) ديوان المتنبي، ص ٢٦٢.

الرَأيُ قَبلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ   هُوَ أَوَّلٌ وهِيَ المَحَلُ الثَانِي[1]

فإذا هُما اجْتَمَعا لِنَفسٍ مَرَّةٍ   بَلَغَتْ مِنْ العَلْيَاءِ كُلَّ مَكانِ

نظم المتنبي هذه القصيدة في وصف رحلة سيف الدولة وجنوده التي بدأت من حلب وانتهت بمنطقة الدرب، واصفاً كيفية عبورهم نهر ارسناس مع شدة جريانه وبرودته، ثم وصف مقتل الروم على يد سيف الدولة في ذاك الطريق، ثم وصف المعركة التي دارت بين سيف الدولة والروم في منطقة الدرب سنة ٣٤٥هـ ثم وصف هزيمة الروم وهروب قائدهم. وافتتح المتنبي هذه القصيدة بذكر أهمية الرأي والتدبير للمعارك ووضع الخطط لما له أثر في انتصار الجيش، لذلك وضع الرأي أولاً، ثم الشجاعة ثانياً.

وأيضاً من القصائد التي افتتحها المتنبي بالغرض مباشرة قصيدته التي مطلعها:

عُقْبَى اليَمِينِ علَى عُقبَى الوَغَى نَدَمُ   ماذا يزيدُكَ في إقْدَامِكَ القَسَمُ[2]

وفي اليَمِينِ علَى ما أنتَ واعِدُهُ   ما دَلَّ أَنَّكَ في المِيعادِ مُتَّهَمُ

قال المتنبي هذه القصيدة عندما تُحدِّث بحضرة سيف الدولة بأن قائد الروم أقسم عند ملكه أن يعارض سيف الدولة في الدرب، ويجتهد في لقائه، وخيَّب الله ظنه، وهي آخر قصيدة قالها المتنبي عند سيف الدولة وكان ذلك سنة ٣٤٥هـ، فقد بدأ المتنبي هذه القصيدة عن عاقبة اليمين، ذاكراً أن عاقبتها الندامة، لأن الذي يحلف على لقاء من لا يقاومه إنهزم، ويكون إنهزامه أشنع، موضحاً أن هذا أشد من الإنهزام بلا يمين، وأن القسم لا يزيد شجاعة الإنسان إذا لم يكن في نفسه شجاعة.

وأيضاً من القصائد التي افتتحها المتنبي بالغرض مباشرة قصيدته التي مطلعها:

غَيْرِي بِأكثَرِ هذا النَّاسِ يَنْخَدِعُ   إنْ قَاتَلُوا جَبَنُوا أو حدَّثُوا شجعُوا[3]

أهلُ الحَفِيظَةِ إلاّ أنْ تُجَرِّبَهُم   وفي التَجَارُبِ بَعدَ الغَيِّ ما يَزَعُ

---

(١) ديوان المتنبي، ص ٢٦٥.

(٢) ديوان المتنبي.ص ٢٦٨

(٣) ديوان المتنبي. ص٢٠٠

قال المتنبي هذه القصيدة عندما انهزم سيف الدولة وجنوده عند عقبة قريبة من بحيرة الحدث سنة ٣٣٩هـ.

فبدأ المتنبي هذه القصيدة بغناء حزين،وقد صورهم بأنهم أوفياء شجعان إذا تحدثوا، جبناء خونه إذا قاتلوا، فقد كانت لهجة المتنبي صادقة. يقول طه حسين[١]: "لم يكن توفيق المتنبي سياسياً وعملياً فحسب (في هذه القصيدة)، بل كان توفيقاً فنياً قبل كل شيء. فلهجة الشاعر في القصيدة صادقة كل الصدق، حارة كل الحرارة، وألفاظه ومعانيه ملائمة أشد الملائمة لهذا الصدق الحار، لأن المتنبي قد شهد الموقعة ورأي أطوارها كلها".

وهناك قصائد أفتتحها الشاعر بالنسيب، فهو يعطف القلوب ويجذب القارئ لمتابعة ما بعده.

يقول ابن رشيق[٢]: "وللشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب لما فيه من عطف القلوب واستدعاء القبول بحسب ما في الطباع من حب الغزل والميل إلي اللهو والنساء، وإن ذلك استدراج إلي ما بعده".

فمن هذه القصائد، قصيدته التي مطلعها:

لَعَيْنَيْكِ ما يَلقَى الفُؤادُ وما لَقِيَ　　　وللحُبِّ ما لَم يَبْقَ مِنِّي وما بَقِيَ

فقد بدأ الشاعر هذه القصيدة بالنسيب، حيث جعل كل شئ لقيه قلبه من ألم الشوق فيما مضى، وفيما يلقاه من بعد هو بسبب عيونها ولأجل حسنها.

وقد جعل حازم القرجاني هذا المطلع من أحسن المطالع، يقول يوسف حسين بكار في ذلك[٣]: "غير أن حازماً القرجاني توسع في بحث المطلع، فصنف الجيد منه خاصة في ثلاث رتب، الأولى وهي – أحسنها– ما تناسب فيها حسن المصراعين وحسن البيت الثاني كقول المتنبي:

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى　　　وللحب ما لم يبق منى وما بقى

---

(١) مع المتنبي –للدكتور طه حسين ، طباعة ونشر دار المعارف بمصر، ص ٢٣٢.

(٢) العمدة لابن رشيق، مرجع سابق، ٢٢٥/١

(٤) ديوان المتنبي ص٢٢٠.

(٣)بناء القصيدة في النقد العربي القديم، ص ٢٠٧.

وما كُنتُ مِمَّنْ يَدخُلُ العِشقُ قَلبَهُ ولَكِنَّ مَنْ يُبصِرْ جُفُونَكِ يَعشَقِ

فإذا لم يكن البيت الثاني مناسباً للأول في حسنه، غض ذلك من بهاء المبدأ وحسنه لاسيما إذا كان فيه قبح من جهة لفظ أو معنى أو نظم أسلوب".

وأيضاً من القصائد التي بدأها المتنبي بالنسيب قصيدته التي مطلعها:

لَيَالِيَ بَعدَ الظَاعِنِينَ شُكُولُ طِوَالٌ ولَيلُ العاشِقِينَ طَوِيلُ

يُبِنَّ لِي البَدرَ الذي لا أُرِيدُهُ ويُخفِينَ بَدْراً ما إلِيهِ سَبِيلُ(١)

وصف هذه الليالي بأنها تتشابه في الطول، موضحاً كذلك أن ليل العشاق طويل، فهذه الليالي طوال، للسهر وبُعد النوم وفقد الروح والراحة، شوقاً إلي الظاعنين وهي طوال، لبعد العهد باللقاء وطول المدة.

وقد عمد المتنبي بهذا المطلع إلي تهيئة سامعيه لاستماع ما سيقص عليهم من أنباء الحرب، وما سيعرض عليهم من أوصافها.

غير أن طه حسين يرى أن هذه الليالي المتشابهة في الطول، إنما رمز بها الشاعر إلي هذه الحياة فيقول(٢): "هذه الليالي المتشابهة التي امضته وثقلت عليه لتشابهها، لم لا تكون رمزاً لهذه الحياة المتشابهة التي تمض وتثقل بتشابهها.. ولم لا يكون البدر رمزاً لهذه الآمال النائية، وهذه الهموم البعيدة التي تاقت إليها نفس الشاعر منذ أحس الحياة وقدر على النشاط".

وبهذا لا يكون هذا المطلع نسيباً، بل يكون هجوماً على الغرض مباشرة على حسب قول طه حسين.

ومن ابتداءات المتنبي أيضاً، ذكر الديار والآثار. يقول ابن قتيبة(٣): "وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار، والآثار فبكى وشكا وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين".

ومن هذه الابتداءات قول المتنبي:

---

(١) ديوان المتنبي :ص٢٢٦

(٢) مع المتنبي : ص ٢٣٩.

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، الناشر دار المعارف بمصر ٧٤/١.

فَدَيْناكَ مِنْ رَبْعٍ وإنْ زِدْتَنَا كَرْبا فإنَّكَ كُنتَ الشرْقَ للشَّمسِ والغَرْبَا(١)

وكَيفَ عَرَفْنَا رَسمَ مَنْ لَمْ يَدَعْ لَنا فُؤاداً لِعِرْفانِ الرُّسُومِ ولا لُبَّا

فقد خاطب المتنبي هنا ربع محبوبته، قائلاً: نحن نفديك بأنفسنا وإن كنت تزيد في غمنا؛ لخلوِّك من المحبوبة؛ لأنك كنت مألف محبوبتي.

ولعل حياة المتنبي البدوية جعلته يذكر الديار والآثار في مطلع بعض قصائده ويقول ابن رشيق(٢): "ومقاصد الناس تختلف ، فطريق أهل البادية ذكر الرحيل والانتقال وتوقع البين، والاشفاق منه وصفة الطلول".

ب/ التخلص:

هو ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلي معنى، ثم عاد إلي الأول، وأخذ في غيره. والتخلص يكون في الشعر والنثر، وفي ذلك يقول بكار(٣): "لم يفرق النقاد في التخلص بين شعر ونثر ، ففي كليهما يرون أن يصل الشاعر أو الناثر المعنى صلة لطيفة بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله، بل يكون متصلاً به وممتزجاً معه حتى يلتقي طرفا المدح والنسيب أو غيرهما من الأغراض المتباينة إلتقاءً محكماً دون إختلال في النسق أو تباين في أجزاء النظم".

ويعرفه ابن رشيق(٤) قائلاً:"وأولى الشعر بأن يسمى تخلصاً ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلي معنى، ثم عاد إلي الأول وأخذ في غيره، ثم رجع إلى ما كان فيه".

ومن هذه التعريفات يتضح لنا أن التخلص، هو الانتقال من معنى إلى معنى آخر بكل سهولة ويسر بحيث لا ينفصل المعنى الأول عن الثاني. ولكن ابن رشيق زاد على ذلك أن يعود الشاعر إلي المعنى الأول الذي انتقل منه، ثم بعد ذلك يأخذ في معنى غيره. لذلك يجئ التخلص حسب براعة الشاعر.

يقول العلوي(٥): "وعلى قدر براعة الشاعر والخطيب والمصنف يكون حسن التخلص إلي المقصود".

---

(١) ديوان المتنبي: ص ٢٠٨.

(٢) العمدة لابن رشيق ١/٢٢٥.

(٣) بناء القصيدة في النقد العربي القديم، ص ٢٢٢.

(٤) العمدة لابن رشيق،،١/٢٣٧.

(٥) الطراز للعلوي ،٣/١٨١.

والمتنبي اهتم بهذا الفن اهتماماً شديداً، يقول الجرجاني في ذلك[١]:"فأما أبوتمام والمتنبي فقد ذهبا في التخلص كل مذهب، واهتما به كل اهتمام، واتفق للمتنبي فيه خاصة ما بلغ المراد وأحسن وزاد".

ونقف عند بعض تخلص المتنبي في قصائده التي هي موضوع بحثنا هذا .حيث تخلّص من مدح سيف الدولة إلي الحديث عن المنهزمين من جيش سيف الدولة، فقال مخاطباً قائد الروم[٢]:

تَغدُو المَنايَا فَلا تَنفَكُّ واقِفَةً حتَّى يَقُولَ لها عُودِي فَتَنْدَفِعُ
قُلْ للدُّمُسْتُقِ إنَّ المُسْلَمِينَ لَكُم خانُوا الأمِيرَ فَجَازاهُم بِما صَنَعُوا
وجَدْتُمُوهُم نِياماً فِي دِمَائِكُمُ كأنَّ قَتْلاكُم إيَّاهُم فَجَعُوا

ثم عاد مرة أخرى وخلُص إلي مدح سيف الدولة قائلاً[٣]:

وإنما عرض الله الجنود بكم لكي لا يكونوا بلا فسل إذا رجعوا
فكُلُّ غَزوٍ إلِيكُم بَعدَ ذَا فلَهُ وكُلُّ غازٍ لِسيفِ الدَّوْلَةِ التَّبَعُ

ثم نجد هذا التخلص وهو تخلصه من النسيب إلي وصف خيله التي تقتحم معه المعارك فقال[٤]:

أَلَحَّ عَلَيَّ السَقمُ حتَّى أَلِفْتُهُ ومَلَّ طَبِيبِي جَانِبِي والعَوَائِدُ
مَرَرْتُ علَى دارِ الحَبِيبِ فحَمْحَمَتْ جَوَادِي وهَلْ تُشْجِي الجِيادَ المعاهِدُ

وأيضاً تخلص من الحديث عن نفسه إلي مدح سيف الدولة حيث قال[٥]:

خَلِيلَيَّ إنِّي لا أَرَى غَيرَ شَاعِرٍ فَلِمَ مِنْهُمُ الدَّعْوَى ومِنِّي القَصَائِدُ؟
فلا تَعْجَبَا إنَّ السُّيُوفَ كثِيرَةٌ ولَكِنَّ سَيفَ الدَّوْلَةِ اليَومَ واحِدُ

---

(١) الوساطة للجرجاني ، ، ص ٤٨.
(٢) ديوان المتنبي، ص ٢٠٢.
(٣) المرجع نفسه، ص ٢٠٢.
(٤) المرجع نفسه، ص ٢٠٤.
(٥) المرجع نفسه، ص ٢٠٥.

وأيضاً من تخلصاته ، تخلصه من النسيب إلي المدح فقال(١):

لَقدْ لَعِبَ البَيْنُ المُشِتُّ بها وبِي وزَوَّدنِي في السِّيرِ ما زَوَّدَ الضّبَّا

ومَنْ تَكُنِ الأُسْدُ الضواري جُدودَه يَكُنْ لَيلَهُ صُبحَاً ومَطعَمُهُ غَصْبَا

وجاء وتخلص من مدح نفسه إلي مدح سيف الدولة فقال(٢):

فربُّ غُلامٍ علَّمَ المَجدَ نَفْسُهُ كتَعليِمِ سيفِ الدَّولَةِ الطَّعنَ والضَّرْبا

إذا الدَّولَةُ اسْتَكفَتْ به في مُلِمَّةٍ كَفَاها فكانَ السِّيفَ والكَفَّ والقَلبَا

واستمر في مدح سيف الدولة إلى أن تخلص منه إلى وصف هزيمة الدمستق وأصحابه أحسن تخلص فقال مخاطباً سيف الدولة(٣):

سَرَايَاكَ تَتْرَى والدُّمُسْتُقُ هَارِبٌ وأَصْحَابُهُ قَتلَى وأَموَالُهُ نَهْبا

أَتَى مَرْعَشاً يَستَقرِبُ البُعدَ مُقبِلاً وأَدبرَ إذْ أقْبَلْتَ يَستَبعِدُ القُرْبا

وفي قصيدة أخرى تخلص الشاعر من معنى إلي آخر تخلصاً جميلاً فقال(٤):

نُوَدِّعُهُم والبَينُ فِينـــا كأنَّه قَنَا ابنِ أبِي الهَيجَاءِ في قَلبِ فَيْلَقِ

قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسجُ داوُدَ عِندَها إذا وَقَعَتْ فِيهِ كنَسجِ الخَدَرْنَقِ

حيث تخلص من الحديث عن المحبوبة ووصف الفراق والوداع إلي وصف رماح سيف الدولة، فشبه ألم هذا الفراق بالألم الذي تفعله رماح سيف الدولة في قلب الفيلق (وسط العسكر).

وفي قصيدة أخرى، يتخلص الشاعر من النسيب إلى مدح سيف الدولة تخلصاً جميلاً فقال(٥):

ويَوماً كأنَّ الحُسنَ فيه علامَةٌ بَعَثتِ بها والشَّمسُ منكِ رَسُولُ

---

(١)ديوان المتنبي ٢٠٩

(٢) ديوان المتنبي ص ٢٠٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢١٠.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٢١.

(٥) المرجع نفسه، ص ٢٢٦.

ولكِنَّهُ وما قَبلَ سَيفِ الدَّولَةِ آثَّارَ عاشِقٌ ولا طُلِبَتْ عند الظَّلامِ ذُخُولُ

يأتي

بِكُلِّ غَرِيبَةٍ تَرُوقُ علَى استِغرابِها وتَهُولُ

ثم خلص إلي وصف حروب الدمستق وأسر ابنه قسطنطين فقال[١]:

فَوَدَّعَ قَتْلاهُم وشَيَّعَ فَلَّهُم بضَرْبِ حُزُونُ البِيضِ فيه سُهُولُ

علَى قَلبِ قُسْطَنْطِينَ منه تَعَجُّبٌ وإنْ كانَ في الساقَينِ منه كُبُولُ

لعلَّكَ يوماً يا دُمُسْتُقُ عائِدٌ فكَمْ هارِبٍ مِمَّا إليهِ يَؤُولُ

وفي قصيدة أخرى يتخلص الشاعر من القسم الذي أقسمه شميشق (ملك الروم) إلي مدح سيف الدولة حين قال[٢]:

آلَى الفتَى ابنُ شُمَيشِق فأحنَثَهُ فتًى مِنَ الضَّربِ يُنسَى عِندَه الكَلِمُ

كُلُّ السُّيُوفِ إذا طالَ الضِّرَابُ بها يَمَسُّها غَيرَ سَيفِ الدَّولَةِ السَّأَمُ

ج/ الخاتمــة:

الخاتمة هي آخر ما يقوله الشاعر في قصيدته، ولا بد أن تكون حسنة جميلة، لأنها آخر ما يبقى في ذهن القارئ أو المستمع من الشعر. يقول ابن رشيق[٣]: "وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع ، وسبيله أن يكون محكماً، لا تمكن الزيادة عليه،... وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه". ويقول العلوي[٤]:"فالخاتمة في كل شئ هي العمدة في محاسنه والغاية في كماله". وكان المتأخرون يجيدون الخاتمة، على عكس المتقدمين، فإنهم كانوا لا يجيدون الخاتمة. يقول العلوي[٥]:"فأما المتقدمون من الشعراء كامرئ القيس، والنابغة، وطرفة وغيرهم من شعراء الجاهلية فليس لهم فيها كل الإجادة، وإنما الذي أجاد فيه المتأخرون كأبي نواس، والمتنبي والبحتري وأبي تمام".

---

(١) ديوان المتنبي : ص ٢٢٩.

(٢) المرجع نفسه ص ٢٦٨.

(٣) العمدة لابن رشيق ، ٢٣٩/١.

(٤) الطراز للعلوي، ١٨٣/٣.

(٥) الطراز للعلوي، ١٨٣/٣.

وقد وضع النقاد شروطاً للخاتمة ذكرها بكار فقال[١]: "فقد اشترط النقاد في الختام أن يكون على أحد الأوجه التالية:

١- أن يكون الختام في كل غرض ما يناسبه ، ساراً في المديح والتهاني، وحزيناً في الرثاء والتعازي.

٢- أن يكون اللفظ مستعذباً، والتأليف جزلاً مناسباً.

٣- أن يكون أجود بيت في القصيدة، وأدخل في المعنى الذي قصد له الشاعر في نظمها.

٤- أن يتضمن حكمة أو مثلاً سائراً.

وكان النقاد يكرهون أن تختتم القصيدة بالدعاء إلاّ للملوك. وينبغي أن تكون أواخر القصائد عندهم حلوة المقاطع، توقن النفس بأنه آخر القصيدة لئلا يكون كالنثر.

إن الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ختم سُوره بأحسن ختام. يقول العلوي[٢]:"إن الله تعالى ختم كل سورة بأحسن ختام، ألا ترى ما ختم به سورة الفاتحة، فختمها بما يناسب معناها، وأختتم سورة آل عمران بالصبر على المكاره، والمصابرة على الجهاد لأعداء الله، فقال[٣]:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.وبما كان من الوعد والوعيد في خاتمة سورة الأنعام بقوله[٤]:﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقد أجاد المتنبي فن الخاتمة كل الإجادة وكان يختم قصائده إما بحكمة أو بذكر النصر.

هذه الخواتيم كلها على غاية في الحسن والرشاقة.

وإليك خاتمة كل قصيدة من قصائد هذا البحث، ونبدأ بما ختمه بحكمة

فالقصيدة التي مطلعها [٥]:

غَيرِي بأكثرِ هذا النَّاسِ يَنْخَدِعُ إنْ قاتلُوا جَبَنُوا وإنْ حدَّثُوا شَجَعُوا

---

(١) بناء القصيدة لبكار، ص ٢٣١.

(٢) الطراز للعلوي، ١٨٣/٣.

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٢٠٠.

(٤) سورة الأنعام ، الآية ١٦٥.

(٥) ديوان المتنبي ، ص ٢٠٠.

ختمها الشاعر بحكمة فقال[1]:

إنَّ السِّلاحَ جميعُ النَّاسِ تحمِلُهُ   وليسَ كُلُّ ذَوَاتِ المِخلَبِ السَّبُعُ

وهذه الحكمة تعني أنه ليس كل مقاتل يحمل السلاح فهو شجاع، كما أنه ليس كل حيوان لديه مخالب فهو مفترس كالأسد، وقصد الشاعر بهذه الحكمة، أن جنود سيف الدولة المنهزمين جبناء، لأنهم لم يثبتوا في المعركة، وهذا ختام جميل، لأنه يتضمن حكمة،وهذه الحكمة معناها يناسب الغرض من القصيدة.

أما القصيدة التي مطلعها[2]:

نَزُورُ دِياراً ما نُحِّبُ لها مَغنًى   ونَسألُ فِيها غَيرَ ساكِنِيها الإذْنا

فختمها الشاعر بتثبيت جنود سيف الدولة، وعدم الخوف من العدو،عندما تهيب جيش سيف الدولة لقتال الروم في سمندو سنة ٣٤٠ هـ قال[3]:

وما الخضوفُ إلا مَا تَخَوَّفَهُ الفتَى   ولا الأمْنُ إلا ما رَآهُ الفَتَى أمْنَا

فهذا الختام الذي يصور فيه الشاعر للجنود الخوف والأمن ، ذاكراً أنهما حسب ما يتصورهما الإنسان في نفسه، فإذا تصور في الشئ أنه مخوف خافه، وإن لم يكن مخوفاً ، إذا تصور في نفسه أنه الشئ مأمون أمن منه، وإن لم يكن كذلك في الحقيقة، وهذا يعني أن الشاعر يريد من الجنود أن يتصوروا كل شئ أمناً حتى يثبتوا ويقاتلوا وينتصروا، وبهذا فقد رد الشاعر إلي قلوبهم الثقة وأثار فيها الحماسة ثم اندفع بهم سيف الدولة كأنهم السيل.

والقصيدة التي مطلعها[4]:

عَواذِلُ ذَاتِ الخَالِ فِي حَوَاسِدُ   وإنَ ضَجِيعَ الخَوْدِ مِنِّي لماجِدُ

ختمها الشاعر بحكمة فقال[5]:

فإنَّ قَلِيلَ الحُبِّ بالعَقلِ صالِحٌ   وإنَ كَثِيرَ الحُبِّ بالجَهلِ فاسِدُ

---

(١) المرجع السابق، ٢٠٣.

(٢) المرجع السابق، ٢٠٣.

(٣) المرجع السابق، ٢٠٣.

(٤) ديوان المتنبي ص ٢٠٤.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٠٦.

فهذه الحكمة التي تعني أن القليل من الحب إذا كان مع العقل، أصلح من الحب الكثير إذا كان مع الجهل، فهذا ختام حسن لأنه يحمل بين طياته حكمة.

أما القصيدة التي مطلعها[١]:

فَدَيْناكَ مِن رَبْعٍ وإنْ زِدْتَنا كَرْبا   فإنَّكَ كُنتَ الشَّرقَ للشَّمسِ والغَرْبا

فقد ختم الشاعر هذه القصيدة التي يصف فيها انتصار سيف الدولة على الروم ويذم الملوك الآخرين . بقوله[٢]:

فمَنْ كانَ يُرضِي اللُّؤمَ والكُفرَ مُلْكُهُ   فهذا الذي يُرضِي المَكارِمَ والرَّبَّا

وهذا الختام فيه ثناء لسيف الدولة، الذي يرضى ربه بجهاده للمشركين وفشلهم، يرضى أيضاً مكارمه بأفعاله هذه ،وغيره من الملوك إما يرضى الكفر وإما يرضى اللؤم. وهذا الختام ناسب غرض القصيدة، لأنه جاء ساراً.

والقصيدة التي مطلعها[٣]:

لَعَيْنَيكِ ما يَلْقَى الفُؤادُ وما لَقِيَ   وللحُبِّ ما لَم يَبْقَ مِنّي وما بَقِيَ

فهذه القصيدة التي قالها الشاعر ليلقي بها الرعب في نفوس رسل ملك الروم ، الذي جاء إلي سيف الدولة يلتمس الفداء ختمها بحكمة فقال[٤]:

وما يَنصُرُ الفَضلَ المُبِينُ عَلَى العِدا   إذا لم يَكُن فَضلُ السَّعِيدِ المُوَفَّقِ

وهذه الحكمة تشير إلي أن الفضل الظاهر لا ينصر صاحبه على أعدائه، حتى يوافقه على ذلك سعادة جده وتوفيق ربه، والله سبحانه وتعالى يوفق وينصر عباده الذين يؤمنون به، ويحاربون في سبيله. وهذا ختام حسن لأنه تضمن هذه الحكمة الرائعة.

وقد يختم بذكر النصر فالقصيدة التي قالها المتنبي عندما إنتصر سيف الدولة على الروم عند نهر جيحان سنة ٣٤٢ هـ ومطلعها[٥]:

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١١.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٠.

(٤) ديوان المتنبي ، ص ٢٢٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٢٦.

لَيالِيَ بَعدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ طِوَالٌ ولَيْلُ العَاشِقِينَ طَوِيلُ

فقد ختمها بذكر النصر حيث يقول [1]:

فإنْ تَكُنِ الدَّوْلاتُ قِسْماً فإنَّها لِمَنْ وَرَدَ المَوتَ الزُّؤَامَ تَدُولُ

لِمَنْ هَوَّنَ الدُّنْيا علَى النَّفْسِ سَاعَةً ولِلبِيضِ فِي هَامِ الكُمَاةِ صَلِيلُ

ختم الشاعر هذه القصيدة بأحقية الدولة، وذكر أن الدولة أحق بها الذي يقتحم الأهوال ،ويباشر القتال، وأيضاً هي لمن هون الدنيا على نفسه ساعة، في موضع الضرب والطعن، وضرب على شدائدها في تلك الحال، لأنه متى صبر فاز بالظفر والغلبة.

وهذا الختام حسن، لأنه يتضمن النصر والسرور.

أما القصيدة التي مطلعها[2]:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزائمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامُ المَكَارِمُ

فقد قالها المتنبي عندما هزم سيف الدولة الروم عند حصن الحدث ثم أقام الحدث بعد ذلك، وكان ذلك سنة ٣٤٣هـ.

وختم المتنبي هذه القصيدة بأن سيف الدولة ينصر الإسلام فقال[3]:

ولِمَ لا يَقِي الرَّحمنَ حَدَّيكَ ما وَقَى وتَفْلِيقُهُ هامَ العِدَى بكَ دائِمُ

وهذا الختام يتضمن النصر لسيف الدولة الذي يعتبر نصراً لله وللإسلام، لذلك فإن الله قد حفظه من الأعداء.

فهذا ختام حسن، لأنه يتضمن النصر لله ولدينه، ويتضمن الفرحة والسرور.

وفي بعض القصائد يختم بشيء من المدح فالقصيدة التي مطلعها[4]:

أرَاعَ كَذَا كُلَّ الأنَامِ هُمامُ وَسَحَّ لَهُ رُسْلَ المُلُوكِ غَمَامُ؟!

قالها المتنبي عندما قدم رسول ملك الروم إلى سيف الدولة في طلب الهدنة، وذلك سنة ٣٤٤هـ،وختمها المتنبي بمدح سيف الدولة فقال[1]:

---

(١)ديوان المتنبي.، ص ٢٣٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤٤.

(٣) ديوان المتنبي.، ص ٢٤٨.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤٨.

فَلَيسَ لِشَمسٍ مُذْ أنَرْتَ إنارَةً وَلَيسَ لِبَدرٍ مُذْ تَمَمْتَ تَمَامُ

إن سيف الدولة أفضل ملوك عصره وكرام دهره، وهو أحسنهم فِعالاً.

والقصيدة التي مطلعها[٢]:

ذِي المَعَالِي فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تَعالَى هَكَذا هَكَذا وإلاّ فَلا لا

قالها المتنبي عندما نقض الروم الهدنة وأغاروا على الحدث ليستردوه ، وعلم سيف الدولة ونهض لهم، فلما علموا بمقدمه عادوا أدراجهم وذلك سنة ٣٤٤هـ.

والقصيدة التي مطلعها [٣]:

عُقْبَى اليَمِينِ عَلَى عُقْبَى الوَغَى نَدَمُ ماذا يَزِيدُكَ في إقْدَامِكَ القَسَمُ

هذه القصيدة قالها المتنبي عندما أقسم قائد الروم عند ملكه، أن يعارض سيف الدولة في الدرب، فخيب الله ظنه، وذلك سنة ٣٤٥هـ، وهي آخر قصيدة قالها عند سيف الدولة.

وقد ختم المتنبي هذه القصيدة بمدح سيف الدولة ومدح نفسه فقال[٤]:

لا تَطْلُبَنَّ كَرِيماً بَعدَ رُؤيَتِهِ إنَّ الكِرَامَ بأسْخاهُمْ يَداً خُتِمُوا

ولا تُبالِ بشِعرٍ بَعْدَ شَاعِرِهِ قَدْ أُفْسِدَ القَولُ حتَّى أُحْمِدَ الصَّمَمُ

ذكر المتنبي أن سيف الدولة هو أكرم الكرماء، ووصف نفسه بأنه خاتم الشعراء.

أجاد المتنبي بناء قصيدة الوصف أحسن الإجادة ، فيقول ابن رشيق في ذلك[٥]:

"وقد أربى أبو الطيب على كل شاعر في جودة هذه الأمور الثلاثة المطلع والتخلص والخاتمة".

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٥٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٦٢.

(٣) ديوان المتنبي.، ص ٢٦٨.

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٧٢.

(٥) العمدة لابن رشيق ٢١١/١.

المبحث الثاني
موســـيقـى القصيـــدة

نتناول في هذا المبحث معنى الموسيقى، ونتعرف على أهميتها في الشعر، وأيضاً ندرس عنصري الموسيقى وهما الوزن والقافية، ونتعرف على بحور الشعر التي استخدمها المتنبي في هذه القصائد، وأي هذه البحور أكثر استخداماً، ولماذا ؟.

المقصود بالموسيقى الوزن والقافية، فالموسيقى ملازمة للشعر، بل لا يوجد شعر بدون موسيقى. يقول شوقي ضيف[(١)]: "فلا يوجد شعر بدون موسيقى ، وهي فيه تقوم مقام الألوان في الصورة، فكما أنه لا توجد صورة بدون ألوان كذلك لا يوجد شعر بدون موسيقى".

والموسيقى تعطي الشعر رونقاً وجمالاً ، وتثير فينا إنتباهاً . ويقول محمد مندور[(٢)]: "والكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يثير فينا إنتباهاً عجيباً وذلك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما نسمع من مقاطع لتتكون منها جميعاً تلك السلسلة المتصلة الحلقات التي لا تنبو إحدى حلقاتها عن مقاييس والتي تنتهي بعد عدد معين من المقاطع بأصوات بعينها نسميها القافية".

فقد ظلت الموسيقى ملازمة للشعر في جميع العصور، وما زالت ملازمة له، يقول محمد مندور[(٣)]:"فالشعر جاءنا منذ القدم موزوناً مقفى والشعر لا يزال في جل الأمم موزوناً مقفى نرى موسيقاه في أشعار البدائيين وأهل الحضارة ويستمتع بها هؤلاء ويحافظ عليها هؤلاء وهؤلاء".

والعلماء جميعاً يتفقون على أهمية الموسيقى في الشعر ويرون لها فوائد كثيرة ذكرها محمد مندور في كتابه الأدب وفنونه فقال[(٤)]: "فيرونها تزيد من انتباهنا وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها، وتجعلنا نحس بمعانيه كأنما تمثل أمام أعيننا تمثيلاً عملياً واقعياً . هذا إلي أنها تهب الكلام مظهراً من مظاهر العظمة والجلال وتجعله مصقولاً مهذباً، تصل معانيه إلي

---

(١) شوقي ضيف، في النقد الأدبي ، مطبعة دار المعارف، القاهرة: ط٢، ١٩٦٦م، ص ٩٧.

(٢) محمد مندور، الأدب وفنونه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة : ١٩٦٣م ، ص ٢٧٦.

(٣) محمد مندور، ص ٢٦٦.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٦٥-٢٦٦.

القلب بمجرد سماعه. وكل ذلك مما يثير منا الرغبة في قراءته وإنشاده وترديد هذا الإنشاد مراراً وتكراراً".

فالموسيقى إذن عنصر أساسي في الشعر، ويضيف لنا شوقي ضيف أشياء أخرى مع الموسيقى فيقول(١): "ومهما يكن فالموسيقى عنصر أساسي في القصيدة أو في التجربة الشعرية، وليست هي التي تثير فينا كل تأثيرها، إنما تثيره معها العناصر السابقة من الأحاسيس والمشاعر النفسية والتأملات العقلية والخيال. ولابد أن تلتحم هذه العناصر التحاماً تاماً، بحيث تنمو في القصيدة من خلالها نمواً عضوياً دقيقاً".

والآن ننتقل إلي الحديث عن عناصر موسيقى الشعر وهما الوزن والقافية.

البحور المستخدمة في القصائد موضوع الدراسة:

استخدم المتنبي خمسة بحور من مجموع البحور كلها، وهذه البحور هي:

الطويل والبسيط والكامل والخفيف والوافر.

ونتناول هذه البحور حسب كثرة استخدامها في هذه القصائد.

١/ **البحر الطويل**:

فعولن فعولاتن فعولن فعولاتن فعولن فعولاتن فعولن فعولاتن

وهو أكثر بحر استخدمه المتنبي في هذه القصائد بل هو أكثر بحر استخدمه في جميع شعره، حيث استخدمه في ست قصائد من مجموع إحدى عشرة قصيدة، وهذا يعني أنه استخدمه في أكثر من نصف هذه القصائد.

وبحر الطويل أكثر البحور المستخدمة في الشعر العربي وخاصة القديم، يقول إبراهيم أنيس(٢): "ليس بين بحور الشعر ما يضارع البحر الطويل في نسبة شيوعه، فقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم من هذا الوزن".

وأيضاً نجد أن الغربيين يربطون بين العاطفة والوزن، فحالة الشاعر النفسية في الفرح غيرها في الحزن واليأس. ولابد أن تتغير نغمة الإنشاد تبعاً للحالة النفسية. يقول إبراهيم أنيس

---

(١) شوقي ضيف في النقد الأدبي، مرجع سابق ، ص ١٥٢.

(٢) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر ، طباعة ونشر مكتبة الإنجلو المصرية، ط٣، ١٩٦٥، ص ٥٩.

في ذلك[١]: "والمرء وإن كان يستطيع في النفس الواحد أن ينطق بمقاطع كثيرة، إلا أن قدرته في هذا محدودة يسيطر عليها ما هو فيه من حالة نفسية: وهو حين يكون هادئاً وادعاً أقدر على النطق بمقاطعه الكثيرة دون أن يشوبها إبهام في لفظها، وهو أقل قدرة على هذا حين يكون متلهفاً سريع التنفس كما هو الحال في الانفعالات"، وقد استخدم المتنبي هذا البحر خير استخدام في وصف هذه المعارك.

يقول عبد الله الطيب[٢] في ذلك: "وقد أتيح للطويل بعد البحتري شاعر آخر بلغ به غايات بعيدة في صفات الملاحم وذلك هو أبو الطيب وشعره في هذا الباب من الكلم البواقي" ويواصل عبد الله الطيب في وصف هذا البحر فيقول: "وحقيقة الطويل أنه بحر الجلالة والنبالة، ولو قلنا أنه بحر العمق لاستغنينا بهذه الكلمة عن غيرها، ولذلك فإنك لا تجد قصائد الطويل الفرد إلا منُحوَّاً بها نحو الفخامة والأبهة من حيث شرف اللفظ وهدوء النفس، واستثارة الخيال وتخير المعاني".

وأيضاً نجد المدح والوصف من الموضوعات التي لا تنفعل لها النفس، وهي بهذا تدخل في بحر الطويل والبسيط والكامل فيقول إبراهيم أنيس في ذلك[٣]: "أما المدح فليس من الموضوعات التي تنفعل لها النفوس، وتضطرب لها القلوب، وأجدر به أن يكون في قصائد طويلة وبحور كثيرة المقاطع، كالطويل والبسيط والكامل، ومثل هذا يمكن أن يقال في الوصف بوجه عام".

وأيضاً نجد أن إبراهيم أنيس قد قسم أبيات المتنبي جميعها على البحور فقال[٤]: "أو نظرنا في ديوان المتنبي نجد إنه اشتمل على ما يقرب من "٥٣٠٠" من الأبيات موزعة حسب النسب الآتية:

الطويل ٢٨%	الكامل ١٩%	البسيط ١٦%
الوافر ١٤%	الخفيف ٩%	المنسرح ٧%

(١) د. إبراهيم أنيس، ص ١٧٥.

(٢) المرشد إلي فهم أشعار العرب، ج٣ ٤١٣-٤١٤.

(٣) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر ، ص ١٧٨.

(٤) المرجع السابق، ص ١٩٧.

المتقارب ٤%　　　　　الرجز ٢%　　　　　السريع ١%

فنرى من هذه النسب أن العصر الذي عاش فيه المتنبي قد ظل شعراؤه يحتفظون بنسب القدماء في أوزان الشعر وبحوره. ولكن عنايتهم بالمجزوءات زادت.

نرى من كل هذا أن الشعراء ظلوا حتى عهود العباسين ينسجون على منوال من سبقوهم إلا في النظم من المجزوءات التي كثرت أشعارها على توالي الأيام".

ولهذه الأسباب ومن النسب السابقة نجد أن المتنبي قد نظم في بحر الطويل أكثر شعره وهذه القصائد من ضمن شعره. يقول إبراهيم أنيس(١):"فإذا قورنت هذه النسب بعضها ببعض . نسبة المتنبي مع نسب شعراء آخرين . إستطعنا الحكم بسهولة على أن البحر الطويل قد نُظِم منه ما يقرب ثلث الشعر العربي وأنه الوزن الذي كان القدماء يؤثرونه على غيره ويتخذونه ميزاناً لأشعارهم، ولاسيما في الأغراض الجدية الجليلة الشأن. وهو لكثرة مقاطعه يناسب وجلال مواقف المفاخرة والمهاجاة والمناظرة".

وإليك مطالع القصائد التي نظمت في هذا البحر:

أ. فَدَيْنَاكَ مِنْ رَبعٍ وإنْ زِدْتَنا كَرْبا　　فإنَّكَ كُنتَ الشَّرقَ للشَّمسِ والغَرْبا(٢)

ب. عَوَازِلُ ذَاتِ الخَالِ فيَّ حَوَاسِدُ　　وإنَّ ضَجِيعَ الخَوْذَ مِنِّي لَماجِدُ (٣)

ج. نَزُورُ دِياراً ما نُحِبُّ لها مَغنًى　　ونَسألُ فِيها غَيرَ ساكِنِيها الإذْنا(٤)

د. لَيالِيَ بَعدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ　　طِوَالٌ ولَيْلُ العَاشِقِينَ طَوِيلُ (٥)

هـ.علَى قَدْرِ أهلِ العَزْمِ تأتِي العَزَائِمُ　　وتَأتِي علَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ(٦)

و. أرَاعَ كَذَا كُلَّ الأنَامِ هُمَامُ　　وَسَحَّ لَهُ رُسْلَ المُلُوكِ غَمَامُ(٧)

---

(١) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر ، ص ١٩١.
(٢) ديوان المتنبي ، ص ٢٠٨.
(٣) المرجع السابق، ص٢٠٤.
(٤) المرجع السابق، ص٢٠٣.
(٥) المرجع السابق، ص٢٢٦.
(٦) المرجع السابق، ص٢٤٤.
(٥) المرجع السابق ص٢٤٨
(٦) موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، ص ٣٩٢.

٢/ البحر البسيط:

وتفعيلات هذا البحر:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

وهو البحر الثاني من حيث كثرة الاستخدام في هذه القصائد – أعني قصائد الوصف– حيث استخدم هذا البحر في قصيدتين من مجموع إحدى عشرة قصيدة، وهو البحر الثالث من حيث كثرة شيوعه في شعر المتنبي عامة.

وهو أخو الطويل في الجلالة والروعة، يقول إبراهيم أنيس[١]: "الطويل والبسيط أطولا بحور الشعر العربي، وأعظمهما أبهةً وجلالةً ،وإليهما يعمد أصحاب الرصانة، وفيهما يفتضح أهل الركاكة والهجنة".

ونجد أن الأسباب التي أدت إلى انتشار وكثرة النظم من بحر الطويل لدى المتنبي هي نفس الأسباب التي جعلت البسيط يأتي في المرتبة الثانية من حيث انتشاره في هذه القصائد، وسبب آخر هو أن البحر البسيط يُعبر عن العنف ، وهذه القصائد قصائد عنف. يقول عبد الله الطيب في ذلك[٢]:"إن البحر البسيط شديد الصلاحية للتعبير عن العنف". ويقول أيضاً[٣]: "وللمتنبي من الشعر العنيف في بحر البسيط روائع عدة".

والقصائد التي نظمها في هذا البحر مطالعها:

١- عُقبَى اليَمِينِ عَلَى عُقْبَى الوَغَى نَدَمُ ماذا يَزِيدُكَ في إقَدامِكَ القَسَمُ [٤]

٢- غَيرِي بِأكثَرِ هذا النَّاسِ يَنخَدِعُإنْ قاتَلُوا جَبَنُوا وإنْ حَدَّثُوا شَجَعُوا[٥]

---

(٢) المرشد إلي فهم أشعار العرب ج٣، ص ٤٢٣..

(٣) المرجع نفسه، ص٤٧٣.

(٤) ديوان المتنبي ، ص٢٦٨.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٠٠.

٣/ بحر الكامل:

وتفعيلات هذا البحر

متفاعلن متفاعلن متفاعلن   متفاعلن متفاعلن متفاعلن

هو البحر الثاني من حيث الشيوع في الأشعار العربية ، وفي شعر المتنبي أيضاً يقول أنيس[١]: "هو أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله – إن أريد به الجدّ– فخماً جليلاً، ويجعله إن أريد به إلي الغزل وما بمجراه من أبواب اللِّين والرقة، حلواً عذباً مع صلصة كصلصلة الأجراس، ونوع من الأبهة يمنعه أن يكون خفيفاً أو شهوانياً، وهو بحرٌ كأنما خلق للتغني المحض سواءُ أأريد به جد أم هزل. ودندنة تفعيلاته من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف حتى لا يمكن فصله عنها بحالٍ من الأحوال".

وهذه الصفات؛ أي صفة الجلجلة والحركة وصفة الفخامة والجلالة ، وصفة الأبهة ، هذه الصفات هي التي جعلت المتنبي يتخذ من هذا البحر ضمن بحور هذه القصائد – قصائد وصف المعركة– التي تتطلب هذه الصفات.

وقد نظم المتنبي من هذا البحر قصيدة واحدة من مجموع هذه القصائد ، ومطلع هذه القصيدة هو:

الرَأيُ قَبلَ شَجَاعَةِ الشُّجعَانِ   هُوَ أَوَّلٌ وهِيَ المَحَلُّ الثَّانِي[٢]

٤/ البحر الخفيف:

وتفعيلات هذا البحر هي:

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن   فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

ونجد أيضاً في هذا البحر الفخامة، ولكن فخامته أقل من فخامة الطويل والبسيط. يقول في ذلك عبد الله الطيب[٣]:"إن الخفيف يجنح صوب الفخامة، هذا بالنسبة إلي السريع والأحذ والمنسرح.

---

(١)موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، ٢٦٤،

(٢) ديوان المتنبي، ص ٢٦٥.

(٣) المرشد إلي فهم أشعار العرب ، ص ٢٠٥.

أما إذا وازناه بالطويل والبسيط فهو دونهما في ذلك، والسر في فخامته بالنسبة للبحور التي ذكرناها، أنه واضح النغم والتفعيلات".

وهو بحر متعدد الأغراض ذكر لنا هذه الأغراض عبد الله الطيب فقال(١): "وقد اختلفت أغراض هذا البحر بين طرفي الغزل والحماسة، والمديح والهجاء، والرثاء والفخر، ومع ذلك فقد كان ذا طابع واحد في جميع هذا، من وضوح النغم واعتداله، بحيث لا يبلغ حد اللين، ولا حد العنف، ولكن يأخذ من كل بنصيب".

ونجد أن المتنبي وجد في هذا البحر فخامة وحماسة ونوعاً من العنف لذلك نظم فيه قصيدة واحدة من قصائده في وصف معارك سيف الدولة مع الروم والقصيدة مطلعها:

ذِي المَعَالِي فَلْيَعْلُوَنّ مَنْ تَعَالى هَكَذا هَكَذا ، وإلاَّ فَلا لا(٢)

٥/ بحر الوافـر:

وتفعيلات هذا البحر هي:

مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن

يمتاز هذا البحر بميزات غريبة يذكرها لنا إبراهيم أنيس فيقول(٣): "يحدث في كل شطر خاصة غريبة، وهي أن عجزه سريع اللحاق بصدره، حتى إن السامع لا يكاد يفرغ من سماع الصدر حتى يهجم عليه العجز، لا بل الشاعر نفسه أثناء النظم فيما أرجح يشعر بهجوم العجز والقافية بمجرد فراغه من الصدر" ويواصل أنيس حديثه عن صفات هذاالبحر فيقول(٤):"وحقيقة الأمر أن الوافر بحر مسرع النغمات متلاحقها، مع وقفة قوية سرعان ما يتبعها إسراع وتلاحق" . وعن أغراض هذا البحر يقول(٥): "وأحسن ما يصلح هذا البحر في الاستعطاف والبكائيات وإظهار الغضب في معرض الهجاء والفخر والتفخيم في معرض المدح".

فأراد المتنبي أن يفتخر بسيف الدولة وبجيشه ، فاستخدم هذا البحر وقد نظم في هذا البحر قصيدة واحدة من قصائد بحثنا هذا ومطلع هذه القصيدة يقول:

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٨.

(٢) ديوان المتنبي، ص ٢٦٢.

(٣)موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس، ص ٣٥٨.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٥٩.

(٥) المرجع نفسه، ص ٢٥٩.

لِهذا اليَــومِ بَعـدَ غَدٍ أَرِيــجُ   ونارٌ فِي العَدُوِّ لَها أَجِيجُ[1]

وهذه البحور الخمسة التي نظم فيها المتنبي قصائده في وصف معارك سيف الدولة مع الروم هي أكثر البحور انتشاراً في الشعر العربي على مدى العصور. يقول إبراهيم أنيس في ذلك[2]: "ثم ترى كلاً من الكامل والبسيط يحل المرتبة الثانية في الشيوع -بعد الطويل- وربما جاء بعدهما كل من الوافر والخفيف، وتلك هي البحور الخمسة التي ظلت في كل العصور موفورة الحظ يطرقها كل الشعراء ويكثرون النظم فيها، وتألفها آذان الناس في بيئة اللغة العربية".

فالمتنبي اختار أشهر بحور في الشعر العربي ونظم فيها هذه القصائد، لذلك جاءت قوية وعنيفة.

ثانياً: القافيــة:

هي التي ينتهي بها بيت الشعر ، وقد وصفها محمد مندور بالأصوات المتكررة في آخر البيت، فيقول في ذلك[3]: "ليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة ، وتكررها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة".

والقافية مهمة فهي جرس موسيقى للقصيدة ، يقول محمد مندور:"والقافية قيمة موسيقية في مقطع البيت وتكرارها يزيد في وحدة النغم ولدراستها في دلالتها أهمية عظيمة فكلماتها – في الشعر الجيد- ذات معان متصلة بموضوع القصيدة، بحيث لا يشعر المرء أن البيت مجلوب من أجل القافية بل تكون هي المجلوبة من أجله".

ونخلص من هذا الفصل إلي أن المتنبي كان يعمد -في قصائده هذه- إلي غرضه مباشرة، إلا في قليل من هذه القصائد والتي بدأها بالنسيب والوقوف على الديار، وأيضاً إهتم المتنبي بالتخلص اهتماماً شديداً، وكان تخلصه من النوع السهل الجيد، وقد أجاد المتنبي ختام هذه القصائد والتي اختتم أغلبها بالحكمة، أما بالنسبة لموسيقى هذه القصائد فقد أهتم المتنبي بالوزن والقافية، ومن الملاحظ أن أغلبية أوزان هذه القصائد من بحر الطويل.

---

(١) ديوان المتنبي ، ص ١٩٩.

(٢) موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، ص ١٩٢.

(٣) الأدب وفنونه، محمد مندور ، ص ٢٧٢.

الفصل الثاني

استخدام الصورة البيانية

المبحث الأول :التشبيـه:

يعرِّف أبو هلال العسكري التشبيه فيقول[١]: (التشبيه: الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب). ويقول ابن رشيق: (التشبيه صفة الشئ بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كاملة لكان إيَّاه) [٢].

أقسام التشبيه:

وسنتناول التشبيه باعتبار أركانه، وباعتبار وجه الشبه.

١/ التشبيه باعتبار أركانه:

للتشبيه أربعة أركان هي:المشبه والمشبه به ووجه الشبه، وأداة التشبيه، على أساس هذه الأركان ينقسم التشبيه إلي أربعة أقسام وهي: مرسل مفصِل، ومرسل مجمل، ومؤكد مفصل، وبليغ.

---

(١) الصناعتين ٢٦١.

(٢) العمدة ٢٨٧.

أ/ مرسل مفصِل:

وهو ما ذكرت فيه أركان التشبيه الأربعة، ونجد ذلك في قول المتنبئ[1]:

فَأَوْرَدَهُم صَدرَ الحُصانِ وسَيفَهُ ** فتًى بأسُهُ مثلُ العَطاءِ جَزِيلُ

نجد التشبيه في قوله (**بأسُهُ مثلُ العَطاءِ جَزِيلُ**) حيث شبه الشاعر البأس بالعطاء في الكثرة، فذكر أركان التشبيه الأربعة وهي المشبه (البأس) والمشبه به (العطاء) ووجه الشبه (جزيل) والأداة (مثل). فالشاعر شبه لنا البأس وهو شئ يدرك بالعقل لا بالحواس، فقد شبهه بالعطاء وهو أيضاً يدرك بالعقل، فالشاعر إذن عوضنا شيئاً عقلياً وهو البأس بشئ عقلي وهو العطاء، وقد أخذ الشاعر هذه الصورة من واقع الحياة التي نجد فيها أن الذي يعطي يكون عطائه جزيلاً ؛ لأنه يعطي عن رغبة وعن طيب خاطر فقد استطاع الشاعر أن يظهر لنا بهذا التشبيه بأس الممدوح، وهو أمر قد توفق فيه الشاعر، للأسباب التي ذكرتها آنفاً.

ب/ مرسل مجمل:

وهو حذف منه وجه الشبه ومثل ذلك قول الشاعر[2]:

تَثَنَّى علَى قَدرِ الطِّعَانِ كأنَّما ** مَفَاصِلُهَا تَحتَ الرِّمَاحِ مَراوِدُ[3]

التشبيه في قوله (**كأنَّما مَفَاصِلُهَا تَحتَ الرِّمَاحِ مَراوِدُ**) فقد شبه الشاعر مفاصل هذه الخيل (فالضمير ها في مفاصلها يعود للخيل) في حركتها بمسار المرود الذي يدور حيثما أدير، فنجد أن الشاعر لم يذكر لنا وجه الشبه الذي هو حرية الحركة في جميع الاتجاهات، فقد شبه الشاعر مفاصل الخيل، وهي شئ محسوس، لأننا ندركه بحاسة البصر وهي إحدى الحواس الخمسة، والمشبه به (مسمار المرود) وهو شئ محسوس أيضاً، فندركه بحاسة البصر، فالشاعر إذن عوضنا شيئاً محسوساً وهو مفاصل الخيل

---

(١) ديوان المتنبي ٢٢٨.

(٢) ديوان المتنبئ ٢٠٥.

(٣) المراود: جمع مِرْوَدْ وهو الحلقة التي في رسن الدابة (المراد به اللجام).

بشئ محسوس وهو مسمار المرود، وهذا من محاسن التشبيه لأنه أدرك بحاسة البصر، مما يجعل هذه الصورة راسخة في الذهن، باقية الذكر، يقول الجرجاني[1] في ذلك "أن مما يقتضى كون الشئ على الذكر،وثبوت صورته في النفس أن يكثروا دورانه على العيون، ويدوم تردده مع مواقع الإبصار، وأن تدركه الحواس في كل وقت، أو في أغلب الأوقات، وبالعكس وهو أن من سبب بعد ذلك الشئ عن أن يقع ذكره بالخاطر، وتعرض صورته في النفس قلة رؤيته....، وذلك أن العيون هي التي تحفظ صورة الأشياء على النفوس، وتجدد عهدها بها، وتحرسها من أن تدثر وتمنعها أن تزول". وهذا تشبيه رائع ، لأن الشاعر استطاع أن يوضح كيفية استدارة هذا الخيل عند القتال، وتمايلها بفارسها، على حسب ما يحتاج إليه الفارس، وقد أخذ الشاعر هذه الصورة من عالم الحيوان، وخص الخيل التي يربط لها لجام حتى يستطيع الراكب عليها أن يقودها به إلي الاتجاه الذي يريده.

وأنظر إليه كيف وصف جيش سيف الدولة بالقوة في هذا البيت قائلاً[2]:

وجَيشٌ يَثَنّي كُلَّ طَودٍ كأنَّهُ ** خَرِيقُ رِياحٍ وَاجَهَتْ غُصْنَاً رَطْبا

فقد شبه الشاعر جيش سيف الدولة برياح شديدة، ولم يذكر لنا الشاعر وجه الشبه (القوة)، ولم يكشف بهذا التشبيه الذي يصور لنا هذا الجيش قوياً شديداً عند المواجهة، بل زاد على ذلك أن جعل هذه الرياح الشديدة تواجه غصناً رطباً، فلك أن تتخيل ماذا تفعل هذه الرياح الشديدة بهذا الغصن الرطب، وكم من الزمن يأخذ ذلك، فهذا هو حال جيش سيف الدولة عندما يلاقي عدوه، والشاعر في هذه الصورة شبه لنا جيش سيف الدولة الذي يدرك بحاسة البصر شبهه بالرياح الشديدة ، التي تدرك أيضاً بحاسة البصر فهو إذاً عوضنا محسوساً بمحسوس، والشاعر استنبط لنا هذه الصورة من الطبيعة التي نجد فيها

---

(١) أسرار البلاغة ١٤٤.

(٢) ديوان المتنبي ٢١١.

هذه الرياح الهوجاء التي تفعل الكثير بما يقف أمامها ، ومن روائع تشبيهات؛ لأنه استطاع أن يرسم صورة لهذا الجيش تعرِّف القارئ بمدى قوة وبسالة هذا الجيش العظيم.

ونجد الشاعر يصور لنا سرعة خيل سيف الدولة قائلاً[1]:

ورُعْنَ بِنا قَلبَ الفُراتِ كأنَّما ** تَخِرُّ عليه بالرِّجالِ سُيولُ

شبه الشاعر انحدار هذه الخيل في نهر الفرات بتدافع السيل، ولم يذكر وجه الشبه الذي هو السرعة، يريد أن هذه الخيل سريعة جداً وتنتقل بهذه السرعة من مكان إلي آخر، وشبهها بالسيول لأن السيول تقع من موضع إلي موضع من الوادي، فنجد المشبه (الخيل) تدرك بحاسة البصر، ونجد المشبه به (السيول) تدرك بحاسة البصر أيضاً، فالشاعر إذن عوضنا محسوساً بمحسوس، وقد أخذ هذه الصورة من الطبيعة التي نجد فيها السيول تتدافع فيها من موضع إلي آخر ، وبسرعة.

وعن تزلق الخيل في الجبال يقول الشاعر [2]:

إذا زَلَقتْ مَشْيَتَها بِبُطُونِها ** كما تَتَمَشَّى في الصَّعِيدِ الأَرَاقِمُ

تزلقت الخيل عند صعودها الجبل لملاسنة، وقد انسابت على بطونها وهي تصعد للأعلى، شبه ذلك بالحيات وهي تمشي في التراب، ولم يذكر وجه الشبه الذي هو المشي على البطن، فنجد المشبه (تزلق الخيل) شئ يدرك بحاسة البصر، ونجد المشبه به (مشي الحيات في التراب) شئ يدرك بحاسة البصر أيضاً، فالشاعر أيضاً عوضنا محسوساً بمحسوس، وقد أخذ الشاعر هذه الصورة من عالم الزواحف، التي تمشي زحفاً على بطونها، وهي حكمة الله وقدرته التي جعل فيها كل مخلوق يمشي بطريقة توافق بعض المخلوقات وتخالف البقية، فقد وُفِّقْ الشاعر في هذه الصورة؛ لأنها بيِّنت إصرار سيف الدولة على اللحاق بالروم في أعلى الجبل.

---

(١) المرجع السابق ٢٢٨.

(٢) ديوان المتنبي ٢٤٧.

وأنظر إليه بماذا شبه ماء النهر قبل أن تسيل عليه دماء القتلى، وبماذا شبهه بعد أن سالت عليه دماء القتلى:[١]:

ركَضَ الأمِيرُ وكاللُّجَينِ حَبابُه ** وثَنَى الأعِنَّةِ وهو كالعِقْيانِ

حيث نجده شبه ماء نهر أرسناس بالفضة في البياض، وذلك قبل أن تسيل عليه قتلى الروم، (فالضمير هـ) في حسابه راجع إلي الماء في البيت قبله، ثم جاء وشبه هذا الماء بعد أن سالت عليه دماء القتلى وأحمرّ لوه فشبهه بالذهب في الحمرة، وفي التشبيهين لم يذكر الشاعر وجه الشبه، في التشبيه الأول، وهو الماء يدرك بحاسة البصر، والمشبه به وهو الفضة يدرك أيضاً بحاسة البصر، وفي التشبيه الثاني نجد المشبه وهو الماء يدرك بحاسة البصر، والمشبه به وهو الذهب يدرك أيضاً بحاسة البصر، إذن في التشبيهين عوضنا الشاعر شيئاً محسوساً بشئ محسوس. وهو أخذ هذا التشبيه من طبيعة المعادن التي نجد أن كل معدن فيها يمتاز بصفات معينة، وبلون معني، فالشاعر أبدع في هذا التشبيه؛ لأنه استطاع به أن يُعبِّر عن كثرة من قتلهم سيف الدولة من الروم، وذلك بأن جعل ماء نهر أرسناس أبيضاً قبل قدومه، وأصبح مُحمَّراً بعد رجوعه.

ويصور الشاعر شعور قتلى الروم، وهي متعلقة على الأشجار بقوله[٢]:

قَد سَوَّدَتْ شَجَرَ الجِبالِ شُعُورُهُم ** فَكأنَّ فيه مُسِفَّةَ الغِربانِ[٣]

فقد شبه الشاعر هذه الشعور وهي كثيرة على هذه الأشجار حتى أصبحت سوداء من كثرتها، شبه ذلك بالغربان التي تدنو من الأرض، وقد حذف وجه الشبه وهو السواد في كلٍّ. فنجد المشبه (شعر القتلى) شيئاً حسياً يدرك بحاسة البصر، والمشبه به (الغربان) يدرك بحاسة البصر أيضاً، فالشاعر إذن عوضنا شيئاً محسوساً بشئ محسوس، وقد أخذ هذه الصورة من عالم الطيور، التي نجد منها هذه الغربان، وهي سوداء اللون تماماً، فهذه الصورة وضحت لنا كثرة الرءوس المتطايرة على أشجار الجبل من الروم، من جراء ذلك القتال مع سيف الدولة.

أنظر إلي الشاعر كيف وصف كثرة الدماء التي سالت من الروم قائلاً:[١]:

---

(١) المرجع السابق ٢٦٦.

(٢) ديوان المتنبي ٢٦٨.

(٣) مُسفة الغربان : الغربان الدانية من الأرض.

وجَـرَى علَى الوَرَقِ النَجِيعُ القَانِي ** فكأنَّهُ النَـارَنـجُ في الأغَصــانِ

فقد شبه الشاعر دماء الروم وقد سالت على أوراق الأشجار حتى إحمرَّت بها، شبهها بالنارنج على الأغصان، وهذا التشبيه نجد فيه سحراً؛ لأنه تضمن الوصف باللون فيقول الجرجاني[٢]: "أعلم أنما مما يزداد به التشبيه دقة وسحراً أن يجئ في الهيئات التي تقع عليها الحركات، والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين، أحدهما أن تقترن بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون ونحوهما، والثاني ان تجرد حركة الهيئة حتى يراد غيرها"، ونجد المشبه وهو الدم على الأوراق يدرك بحاسة البصر، والمشبه به وهو النارنج على الأغصان يدرك بحاسة البصر أيضاً، إذن الشاعر عوضنا محسوساً بمحسوس. وقد أخذ الشاعر صورته هذه من عالم النباتات.

ويرسم لنا الشاعر صورة لدرع ابن شميشق أحد بطارقة الروم المشبه بقوله[٣]:

تَخُطُّ فيها العَوَالِي لَيْسَ تَنْفُذُها ** كأنَّ كُلَّ سِنانٍ فَوَقها قَلَمُ

حيث شبه الشاعر أسنة الرماح حين تقع على الدرع ولا تنفذ من خلالها، شبهها بالقلم الذي يخط على الألواح ولا ينفذها، وأراد بذلك أن درعه متينة قوية لا تستطيع الرماح أن تنفذها، ونجد المشبه الدرع يدرك بحاسة البصر، والمشبه به (الألواح) يدرك بالبصر، فالشاعر إذن عوضنا محسوساً بمحسوس، وقد أخذ التشبيه من الألواح الخشبية التي تمتاز بالمتانة والقوة التي تجعله يقف صامداً أمام كل الضربات التي يتعرض إليها.

---

(١) المرجع السابق ٢٦٨.

(٢)أسرار البلاغة ١٥٦.

(٣) ديوان المتنبي ٢٧٢.

ج/ بليغ:

وهو ما حذفت منه الأداة، ووجه الشبه ونجد ذلك في قول المتنبي[١]:

د / بليغ:

وهو ما حذف منه الأداة ووجه الشبه، وذلك مثل قول الشاعر[٢]:

أبِالغَمَـراتِ تُوعِدُنا النَّصـارَى ** ونُحنُ نُجُومَها وهِيَ البُرُوجُ

نجد في هذا البيت تشبيهين، فالتشبيه الأول في قوله (نحن نجومها) حيث شبه الشاعر أنفسهم بالنجوم، والتشبيه الثاني في قوله (وهي البروج) خشية الحرب بالبروج، أي أنهم – سيف الدولة وجنوده– لا ينفكون عن الحرب، وجاء بهذا التشبيه لبيان ملازمتهم الحرب دائماً، وأنهم لا يفارقونها، لأن البروج لا تفارق النجوم، وفي هذا إظهار لقوة هؤلاء الجنود وشجاعتهم وبسالتهم؛ لأن الذي يجبن لا يلازم الحرب بل يفارقها خوفاً من الموت، نجد في التشبيه الأول أن المشبه وهو سيف الدولة وجنوده، وهو يدرك بحاسة البصر، والمشبه به هو النجوم وهو يدرك بالبصر أيضاً، إذن الشاعر عوضنا محسوساً بمحسوس، وفي التشبيه الثاني نجد المشبه الحرب وهو يدرك بالعقل والمشبه به البروج يدرك بالعقل أيضاً، فالشاعر عوضنا معقولاً بمعقول، وقد أخذ الشاعر هذه الصورة من الطبيعة، هذه الطبيعة التي خلقها الله بقدرته، وجعل لكل ش فيها ميزة وصفات معينة، فالنجوم من هذه الطبيعة، وجعل الله لها مساراً معيناً تسير فيه ولا تفارقه أبداً.

ويأتي الشاعر ويرسم صورة لشدة الحرب بين سيف الدولة والروم وتكاثف الغبار الذي أظلم ساحة المعركة قائلاً[٣]:

تَهدَي نَواظِرَها والحَربُ مُظلِمةٌ ** مِنْ الأسِنَّةِ نارٌ والقَنا شَمعُ

شبه الشاعر أسنة الرماح بالنار، بجامع الإضاءة في كلٍّ ، وشبه أيضاً القنا بالشمع بجامع خروج الضوء من كلٍّ، عندما أظلمت الحرب بالغبار المتكاثف، حتى انعدمت الرؤية

(١) المرجع السابق ١٩٩.

(٢) ديوان المتنبي ١٩٩.

(٣) ديوان المتنبي ....

الشئ الوحيد الذي كانت تهتدي به الخيل هو لمعان الأسنة، لذلك فقد جعلها الشاعر كالنار التي تضئ الظلام، ولما جعلها ناراً جعل القنا بمثابة الشمع الذي تخرج منه تلك الشعلة النارية، ونجد في التشبيه الأول (تشبيه الأسنة بالنار) فالمشبه هو الأسنة وهو يدرك بالعين، والمشبه به هو النار وهو أيضاً يدرك بالعين، فالشاعر إذن عوضنا محسوساً بمحسوس. وقد أخذ الشاعر هذه الصورة من واقع الحياة، التي نجد فيها هذا الشمع الذي يضئ للناس في حال عدم وجود الوسائل الأخرى.

وعن تشوق سيف الدولة وجنوده للقتال وللموت في الحرب يقول الشاعر(١):

قَصَـدْنا لَهُ قَصـدَ الحَبِيبِ لِقـــاؤُه ** إليْـنا وقُلنَـا للسِّـــيُوفِ هَلُمنَا

فقد شبه الشاعر قصد سيف الدولة وجنوده للموت في الحرب بقصد الحبيب لقاء من يحب وذلك في قوله (**قَصَدْنا لَهُ قَصدَ الحَبِيبِ لِقاؤُه**) فالحبيب يكون في أشد الشوق وفي لهفة للقاء من يحب، فهذا هو حال سيف الدولة وجنوده في لقاء العدو، وفي طلب الموت في القتال، فالشاعر قد توفق في هذه الصورة؛ لأنه من خلالها أبان لنا شجاعة سيف الدولة وجنوده، وأنهم أبناء حرب لا يخافون الموت بل يقصدونه، وأنهم لا يتركون العدو، فإما أن يقتلوه وينتصرون عليه، وإما أن يقتلهم هو فيكونون قد ماتوا كرماء شرفاء، وفي هذه الحالة الموت أفضل لهم من الهرب والجبن من العدو، ونجد المشبه (قصدهم الموت) فهو يدرك بالعقل، والمشبه به (**قَصدَ الحَبِيبِ لِقاؤُه**) فهو يدرك أيضاً بالعقل، فالشاعر في هذه الصورة عوضنا محسوساً بمحسوس، وقد استنبط الشاعر هذه الصورة من واقع الحياة، ومن إحساس الإنسان بأحاسيس معينة تجاه أشياء معينة، فإحساس الإنسان تجاه من يحبه يجعله في شوقٍ شديد للقائه.

وأنظر إليه كيف يصور قتل الروم على أيدي رجال سيف الدولة بقوله(٢):

لَقدْ وَردُوا وِردَ القَطا شَفرَاتِها ** ومَرُّوا عَليها زَرْدقاً بعد زَرْدَقِ

نجد التشبيه في قوله (**وَردُوا وِردَ القَطا شَفرَاتِها**) فقد شبه وقوع الروم على شفرات سيوف جيش سيف الدولة بوقوع القطا على الماء، فقد كان وقوعهم على هذه السيوف بأعداد كبيرة، فقد

---

(١) المرجع السابق ٢٠٣.

(٢) ديوان المتنبي ٢٢٢.

عبر عن ذلك بالقطا الذي يقع على الماء بأعداد كبيرة، ويريد من ذلك أن رجال سيف الدولة قتلوا الروم بأعداد كبيرة وأنهم وفدوا على هذه السيوف صفاً بعد صفٍ، فنجد المشبه وهو ورود الروم على شفرات السيوف شئ يدرك بالبصر، والمشبه به وهو ورد القطا شئ يدرك بالبصر أيضاً، فالشاعر إذن عوضنا شيئاً محسوساً بشئ محسوس، وقد أخذ هذه الصورة من واقع الحياة التي نجد فيها أن القطا هذا يقع على الماء بأعداد كبيرة.

وهاهو يرسم لنا صورة لتلك الخيول التي غزا بها سيف الدولة الروم قائلاً[١]:

رمَى الدَّرْبَ بالجُردِ الجِيادِ إلى العِدا ** وما عَلِمُوا أنَّ السِّهامَ خُيُولُ

التشبيه في قوله (السِّهامَ خُيُولُ) فقد شبه الشاعر هذه الخيل بالسهام في سرعتها، فقد أبان هذا التشبيه سرعة هذه الخيل التي تحمل رجال سيف الدولة، فهي سريعة كسرعة السهام، وقد أخرج لنا هذا التشبيه الشئ الغامض وأوضحه وضوحاً تاماً، وهذا النوع وصفه أبن رشيق بأنه تشبيه حسن بقوله[٢]: "واعلم أن التشبيه على ضربين: تشبيه حسن وتشبيه قبيح، فالتشبيه الحسن هو الذي يخرج الأغمض إلي الأوضح فيفيد بياناً، والتشبيه القبيح ما كان على خلاف ذلك".

المشبه في هذا التشبيه هو الخيل فهو يدرك بحاسة البصر، المشبه به هو السهام وهو يدرك بحاسة البصر أيضاً، وعلى هذا فيكون الشاعر قد عوضنا محسوساً بمحسوس، وقد أخذ الشاعر هذا التشبيه من أرض المعركة التي نجد فيها هذه السَّهام السريعة جداً ووصولها إلي الهدف في وقت وجيز.

ويصور لنا الشاعر وقع سهام سيف الدولة على ابن شميشق قائلاً[٣]:

تَرُدُّ عنه قَنا الفُرْسانِ سابِغةٌ ** صَوبُ الأَسِنَّةِ في أثْنائِها دِيَمُ

شبه الشاعر وقع الأسنة على درع ابن شميشق – أحد بطارقة الروم– شبهها بوقع المطر على الأرض،وذلك في الكثرة، فرماح فرسان الروم كانت تقع على درع ابن شميشق متتالية ومتواصلة، كأنها المطر عندما يقع على الأرض، ومثل هذه التشبيهات التي ترى بالعين

---

(١) المرجع السابق ٢٢٧.

(٢) العمدة ٢٨٧/١

(٣) ديوان المتنبي ٢٧٢.

أوضح في الجملة كما ذكرنا سابقاً، وقد بيّن ابن رشيق الأوضح في الجمل فقال[١]: (أن ما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة مما لا تقع عليه الحاسة، والمشاهد أوضح من الغائب، وما يدركه الإنسان من نفسه أوضح مما يعرفه من غيره، والقريب أوضح من البعيد في الجملة لأنه مشاهد بالعين) فالمشبه في هذا التشبيه وهو وقع الأسنة على الدرع وهو شئ يدرك بحاسة البصر، والمشبه به وهو وقع المطر على الأرض فهو أيضاً يدرك بحاسة البصر، فيكون الشاعر قد عوضنا شيئاً محسوساً بشيءٍ محسوس، إذن هذا التشبيه أوضح من الغائب لأنه مشاهد بالعين، وقد أخذ الشاعر هذه الصورة من الطبيعة التي نجد فيها المطر الذي يصب على الأرض بكميات كبيرة.

وعن أهمية وجود سيف الدولة في حلب يقول الشاعر[٢]:

وظَنَّهم أنَكَ المِصبَاحُ في حَلَبٍ ** إذا قَصَدتَ سِواهَا عَادَهَا الظُّلَمُ

نجد التشبيه في قوله (أنَكَ المِصبَاحُ) والكاف في أنك تعود لسيف الدولة، فشبه الشاعر سيف الدولة بالمصباح؛ لأنه ينفي الفتنة عن حلب، كما ينفي المصباح ظلمة الليل، فجعل الفتنة ظلاماً، وجعل الشاعر نفي سيف الدولة لهذه الفتنة نفياً لهذا الظلام، ودل على أهمية وجوده باستدامة النور في حلب، وظلامها عند رحيله عنها، وكثيراً ما يشبه المتنبي ممدوحه بالمصباح، ويشبهه بالشمس أحياناً، وفي أخرى يشبهه بالبدر، وكلها تدل على بث النور والضوء، فهي دليل على عدم وجود أي شئ مُضئ معهما، في حال ظهور أي منهما، وهذا حال الممدوح في كونه موجوداً بالنسبة للملوك الأخرى، ودليل على الكرم الفياض الذي يغطي كل أرجاء البلاد، وكثير من الدلالات الأخرى، فالمشبه هنا سيف الدولة وهو يدرك بالبصر، والمشبه به المصباح أيضاً يدرك بالبصر، وبهذا يكون الشاعر قد عوضنا محسوساً بمحسوس، وقد أخذ هذا التشبيه من الطبيعة، التي نجد فيها أن المصباح الذي صنع من أجل إزالة الظلام، فقد أبدع المتنبي في هذا التشبيه؛ لأنه جعل سيف الدولة هو الوحيد الذي يزيل الفتنة عن حلب، ودلّ على ذلك بأنه إذا ترك حلب وذهب إلي بلد آخر عاد الظلام إلي حلب.

---

(١) العمدة ١/٢٨٧.

(٢) ديوان المتنبي ٢٦٩.

النوع الآخر من أقسام التشبيه هو مؤكد مفصل وهو ما ذكرت فيه الأداة، فلم نجد لهذا النوع أمثلة في قصائد الوصف هذه.

٢/ التشبيه باعتبار وجه الشبه:

ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلي قسمين:

تشبيه تمثيل وتشبيه غير تمثيل، وسنتناول هنا تشبيه التمثيل.

تشبيه التمثيل:

وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد: وفي هذا يقول الشاعر[١]:

مضَى بَعدَما التَفَّ الرِّمَاحَانِ سَاعَةٍ ** كما يَتَلَقَّى الهُدبُ في الرَّقدَةِ الهُدبَا

حيث شبه الشاعر التفاف الرماح وشدة اشتباكها، شبهها باشتباك الأجفان عند النوم، والصورة المنتزعة هي: اشتباك شيئين اشتباكاً شديداً، فقد رسم لنا الشاعر صورة لهذا الاشتباك العنيف بين سيف الدولة والروم، الذي تداخلت فيه الرماح واشتبكت أشد الاشتباك، وقد وضَّحْت لنا الصورة عظم الموقف، وشدة القتال، فالمشبه في هذا التشبيه هو تداخل الرماح مع بعضها، وهو يدرك بالبصر، والمشبه به هو التقاء واشتباك أهداب الإنسان عند النوم وهو يدرك بالبصر أيضاً، فالشاعر عوضنا محسوساً بمحسوس، وقد أخذت الصورة من واقع حياة الإنسان اليومية، التي نجد هذا النوم جزءً منها.

قتل سيف الدولة الروم بأعداد كبيرة، يقول المتنبي في ذلك[٢]:

نَثَرْتَهُم فَـوقَ الأُحَيْـدِبِ نَثرَةً ** كما نُثِرَتْ فَوقَ العَرُوسِ الدَّرَاهِمُ

شبه الشاعر تساقط الروم قتلى فوق الأحيدب على يد سيف الدولة، شبه ذلك بالدراهم التي تنثر فوق العروس، والصورة المنتزعة هي شئ ثابت تنثر فوقه أشياء كثيرة، فهذه الصورة وضحت لنا أن سيف الدولة قتل الروم بأعداد كبيرة، ومن الملاحظ قد استخدم صوراً مختلفة ومتعددة لرسم مقتل الروم على يد سيف الدولة ذكرنا منها بعضاً وسيأتي الآخر في موضعه، وكلها على نهاية من الروعة، ونجد المشبه في هذا التشبيه وهو سقوط الروم قتلى على يد سيف

---

(١) ديوان المتنبي ٢١٠.

(٢) ديوان المتنبي ٢٤٧.

الدولة، وهو أمر يدرك بحاسة البصر، والمشبه به هو نثر الدراهم فوق العروس وهو يدرك بالبصر أيضاً، فالشاعر إذن عوضنا محسوساً بمحسوس وأخذ هذه الصورة من واقع الحياة التي نجد عادة نثر الدراهم على العروس واحدة منها.

وعن إحاطة خيل سيف الدولة بحصون الروم يقول الشاعر [١]:

وتُضحِي الحُصُونُ المُشَمْخَراتُ في الذُّرَى ** وخَيلُكَ في أعْناقِهِنَّ قَلائِدُ

أحاطت خيل سيف الدولة بحصون الروم العالية في أعلى الجبال إحاطة تامة، شبه الشاعر هذه الصورة بالقلائد التي تحيط بالأعناق، والصورة المنتزعة هي شئ ثابت تحيط به أشياء أصغر منه حجماً من كل جانب، وفي هذا دليل على قوة هذه الخيل التي صعدت الجبال العالية، وفيه أيضاً إصرار على ملاحقة سيف الدولة للروم في كل مكان، ونجد المشبه وهو إحاطة خيل سيف الدولة بالحصون وهو يدرك بحاسة البصر، والمشبه به وهو إحاطة القلائد بالأعناق يدرك بالبصر أيضاً، فالشاعر عوضنا محسوساً بمحسوس، وقد جاء الشاعر بهذه الصورة من حياة المرأة التي تتزين بالعقد بوضعه على عنقها. فالمتنبي استفاد من بيئته ومن الطبيعة حوله، ومن العادات والتقاليد التي يعيشها الناس آنذاك، ومن واقع الحياة اليومية، فاستفاد المتنبي من كل هذه الأشياء وأخذ منها هذه الصورة، حتى أصبحت واضحة جلية للقارئ.

ويقول الشاعر في موضع آخر [٢]:

تَجَفَّلُ المَوْجُ عَنْ لَبَّاتِ خَيلِهِم ** كما تَجَفَّلُ تَحتَ الغَّارَةِ النَّعمُ

شبه الشاعر ابتعاد الموج مسرعاً عند قدوم هذه الخيل عليه، شبه ذلك بسرعة هروب المواشي عند الإغارة عليها، والصورة المنتزعة هي شئ يبتعد مسرعاً في خوفٍ عند الإغارة عليه، والصورة أوضحت سرعة جري هذه الخيل.

---

(١) المرجع السابق ٢٠٥.

(٢) المرجع السابق ٢٧٠.

المبحث الثاني الاستعارة:

هي من الصور التي استخدمها المتنبي كثيراً في قصائده لوصف معارك سيف الدولة مع الروم؛ لأنها توضح الغامض ، وتقرب البعيد كما ذكر ذلك ابن رشيق بقوله[١]:(التشبيه والاستعارة يخرجان الأغمض إلي الأوضح، ويقربان البعيد) ويقول في موضع آخر[٢]: (الاستعارة أفضل المجاز وأول أبواب البديع، وليس في حلى الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا أُوقعت موقعها وأنزلت موضعها) ويقول العلوى[٣]: (أعلم أن الاستعارة من أشرف ما يعد في القواعد المجازية وأرسخها عرفاً فيه).

تعريف الاستعارة:

يعرف أبو هلال العسكري الاستعارة بقوله[٤]: (الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلي غيره لغرض).

وذكر الجرجاني قوله[٥]: (الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية).

١/ الاستعارة التصريحية:

وهي تشبيه حذف منه المشبه وحل محله المشبه به. ومن أمثلتها قول المتنبي[٦]:

وفِينا السَّيفَ حَمْلَتُهُ صَدُوقٌ ** إذا لاقَى وغَارَتُهُ لَجُوجُ

لاستعارة في قوله (وفينا السيف) حيث استعار السيف لسيف الدولة: فيكون المستعار هو السيف، والمستعار له هو سيف الدولة، فالمستعار هنا نستطيع أن نشاهده، فهو إذن أمر حسي ، والمستعار له أيضاً ندركه بأعيننا ونراه فهو أيضاً أمر حسي، فالشاعر إذن استعار لنا

---

(١) العمدة لابن رشيق ٢٨٧/١

(٢) المرجع السابق ٢٧٨/١

(٣) الطراز للعلوي ٣٣٤/٣

(٤) الصناعتين ٢٩٥

(٥) أسرار البلاغة

(٦) ديوان المتنبي ١٩٩

محسوساً بمحسوس، والجامع بينهما هو الصرامة وهي أمر عقلي، وقد أخذ الشاعر هذه الاستعارة من أرض المعركة، التي يوجد فيها كثير من معدات القتال: ولكنه أختار السيف من بين جميع هذه المعدات لتميزه عنها بشدة وسرعة فصلها من توجه نحوه ونستطيع أن نقول أن الشاعر وفق في هذه الاستعارة؛ لأنها أدت الغرض الذي ضربت من أجله وهو المبالغة في وصف سيف الدولة بالصرامة وسرعة قتله للعدو، وذكر أبن رشيق قول ابن جنى في غرض الاستعارة بقوله(١):(الاستعارة لا تكون إلا للمبالغة وإلا فهي حقيقة).

وعن وصف جيش سيف الدولة بالقوة والشجاعة والإقدام يقول الشاعر(٢):

هَلاَّ علَى عَقبِ الوادِي وَقدْ صَعَدَتْ ** أُسُدٌ تَمُرُّ فُرَادَى لَيْسَ تَجتَمِعُ

نجد في قوله (صَعَدَتْ أُسُدٌ) استعارة تصريحية، فاستعار الأسد للجيش، فالمستعار (أسد) يُدرك بحاسة البصر، والمستعار له (الجيش) يدرك أيضاً بحاسة البصر، فالشاعر استعان لنا محسوساً لمحسوس، والجامع بينهما أمر عقلي وهو الشجاعة، وأخذ الشاعر هذه الاستعارة من عالم الحيوان، الذي نجد فيه كثير من الحيوانات المختلفة الأحجام والأشكال، ولكن الأسد معروف أنه يتميز بشجاعته وقوته على جميع حيوانات الغابة، بالرغم من وجود حيوانات أخرى أكبر منه حجماً مثل الفيل والزرافة وغيرهما، فأصبح الأسد سيِّدُ الغابة وهو الآمر والناهي، وهو المتحكم في الغابة، وهذا ينطبق على جيش سيف الدولة بالنسبة للجيوش الأخرى، لذلك وجد الشاعر أن الأسد خير ما يستعيره لهذا الجيش، وأيضاً نجد بقية الشعراء يستعيرون الأسد للشجاعة، ونستطيع القول بأن الشاعر قد توفق في هذه الاستعارة؛ لأنه استطاع أن يبالغ في وصف جيش سيف الدولة بالشجاعة والقوة.

يصف الشاعر ممدوحه بقوله(٣):

وأقَبلَ يَمشِي في البِساطِ فما دَرَى ** إلى البَحْرِ يَمْشِي أمْ إلى البَدْرِ يَرْتقِي

الاستعارة هنا في قوله (إلى البَحْرِ يَمْشِي أمْ إلى البَدْرِ يَرْتقِي) هنا استعارتان، حيث استعار للممدوح في الأولى البحر، وفي الثانية البدر، فالمستعار في الأولى البحر وهو أمر يشاهد

---

(١) العمدة ٢٧٠/١

(٢) ديوان المتنبي ٢٠٢.

(٣) المرجع السابق ٢٠٦.

بالعين، والمستعار له وهو الممدوح يدرك بالعين أيضاً، والمستعار في الثانية هو البدر وهو يدرك بحاسة البصر، والمستعار له وهو الممدوح يدرك بالبصر أيضاً، فالشاعر إذن أستعار لنا في الاستعارتين محسوساً لمحسوس، والجامع بينهما في الأولى – استعارة البحر للممدوح– أمر عقلي وهو الانتفاع من كلٍّ، فالبحر معروف بفوائده الجمّة لنا، فمنه نشرب ماءً نقياً عذباً، ومنه نستخرج اللحوم البيضاء التي تعتبر غذاءً شهياً لنا، وعبره نسافر، وهذه الفوائد لا تنقطع ما دام هو موجود، فهذا هو حال الممدوح، فتستطيع أن تنتفع منه بكثير من الفوائد، مل الكرم والسماحة، وتجاربه في الحياة وعلمه وغيرها من الصفات، وفي الاستعارة الثانية نجد الجامع بين المستعار والمستعار له أمر عقلي أيضاً، وهو الرفعة والعلو والانتفاع منه، فالبدر في علوٍّ ورفعة من الأرض لأنه يوجد في السماء، وهو أيضاً يضئ الأرض بنوره، فهذا هو حال الممدوح في الرفعة والعلو عن بقية الملوك والناس، وهو أيضاً يزيل ظلمة الفتن وغيرها. ويقهر العدو الذي يهجم عليهم، وقد أخذ الشاعر هاتين الاستعارتين من الطبيعة التي نجد فيها البحر والبدر وغيرهما.

ويستخدم الشاعر الاستعارة في وصف جيش سيف الدولة وهم ينصبون على الروم ضرباً وقتلاً قائلاً [(١)]:

سَحائِبُ يَمْطُرْنَ الحَدِيدَ عَلِيهُم ** وكُلَّ مَكانٍ بِالدِّمَاءِ غَسِيلُ

هنا استعارة في قوله (سَحائِبُ) فاستعار السحب للخيل، فالمستعار هو السحب وهو مما يدرك بالعين المجردة، والمستعار له هو الخيل وهو يدرك أيضاً بالعين، فالشاعر أستعار لنا محسوساً لمحسوس، ولما استعار لنا السحب للخيل جعل مطرها الحديد الذي ينصب منها، والجامع بينهما أمر عقلي وهو النزول بشدة، فالشاعر وجد السحب شيئاً مناسباً لاستعارتها للخيل؛ وذلك لأنها تنهال علينا بالأمطار الغزيرة التي تلحق بنا الأضرار، وهذا ما ينطبق على هذه الخيل التي يُطلق فرسانها بالرماح ويضربون بالسيوف، وتلحق الضرر بالعدو، وقد أخذ الشاعر هذه الاستعارة من الطبيعة، فالسحب من هذه الطبيعة التي خلقها الله بقدرته وحكمته.

ويصف الشاعر مقتل الروم على سيد سيف الدولة قائلاً[(٢)]:

---

(١) ديوان المتنبي ٢٢٧.

(٢) ديوان المتنبي ٢٧٠.

فما تَرَكنَ بِها خُـلْـداً لَهُ بَصَـرٌ ** تَحتَ التُّرابِ وَلا بَـازاً لَهُ قَدَمُ[1]

ولا هِزَبْراً له منْ دِرعِه لِبَـدٌ ** ولا مَهـاةً لَهَا منْ شِبْهِهَـا حَشَـمُ

في هذين البيتين مجموعة من الاستعارت، فنجد في البيت الأول قوله(**فما تَرَكنَ بِها خُلْداً**) فاستعار الشاعر الخلد للشيخ، فالمستعار هو الخلد وهو يدرك بحاسة البصر، والمستعار له الشيخ يدرك بالبصر أيضاً، فالشاعر استعار لنا محسوساً لمحسوس، والجامع بينهما أمر عقلي وهو التخفي، فالشاعر شبه الشيوخ الذين تواروا اختفوا في المغارة بالخلد في اختفائه ولكن يخالفه في نظره وقوله (وَلا بازاً لَهُ قَدَمُ) فاستعار الباز للشباب، فالمستعار هو الباز وهو يدرك بالعين، والمستعار له هو الشابن وهو يدرك بحاسة البصر أيضاً، فالشاعر استعار لنا محسوساً لمحسوس، والجامع بينهما أمر عقلى وهو التحصن في أعالي الجبال. وفي البيت الثاني نجد قوله (**ولا هِزَبْراً**) فاستعار الهزبر للجندي الشجاع من الروم، فالمستعار هو الهزبر وهو نستطيع أن نراه ونشاهده، والمستعار له الجندي نستطيع أيضاً أن نراه ونشاهده، فالشاعر استعار لنا محسوس لمحسوس، والجامع بينهما أمر عقلي وهو ا لشجاعة، ونجد أيضا قوله (**ولا مَهاةً**) فاستعار المهاة للمرأة الجميلة، فالمستعار هو المهاة وهو يدرك بحاسة البصر، والمستعار له وهو المرأة يدرك بحاسة البصر أيضاً، فالشاعر استعار لنا محسوساً لمحسوس، والجامع بينهما أمر عقلي وهو الجمال، وقد استطاع الشاعر أن يستفيد من عالم الحيوانات، ويأخذ منه هذه الاستعارات الأربع، فعالم الحيوان مختلف الصفات والأشكال، فاختار الشاعر كل استعارة واحد من هذه الحيوانات التي تناسبها سواء في الشكل أو في الخصال أو في غيرها.

---

(١) الخلد : فأرة عمياء.   الباز : طائر يوجد في أعالي الجبال.

٢/ الاستعارة المكنية:

هي تشبيه حُذف منه المشبه به، ورُمز له بشئ من لوازمه، ومن ذلك قول المتنبي[١]:

تَغْـدُو المَنَـايـا فلا تَنْفَـكُّ وَاقِـفَـةً ** حتَّى يَقُـولُ لَها عُـودِي فَتَنْدَفِـعُ

الاستعارة في قوله(**تَغْدُو المَنَايا**) والغدو هو المجرية وهو أمر عقلي، فاستعار الغدو للموت، والموت أمر عقلي لأنه لا يدرك بالحاسة، فالشاعر استعار لنا معقولاً لمعقول، والجامع بينهما أمر عقلي وهو المجئ، فالشاعر في هذه الاستعارة استطاع أن يجسد الموت في شكل إنسان، ويجعله يغدو ويقف ويندفع بأمر الممدوح، وقد أخذ الشاعر هذه الاستعارة من واقع الحياة، التي فيها الأمر والنهي والغدر والرواح.

ويقول أيضاً[٢]:

الدَّهــرُ مُعتَـذِرٌ والسَّــيفُ مُنتَظِـرٌ ** وأَرْضُهُـم لَكَ مُصطَـافٌ ومُرتَبَعُ

في البيت استعارتان الأولى في قوله (**الدَّهرُ مُعتَذِرٌ**) فالاعتذار يكون للإنسان وهو أمر محسوس، والدهر المقصود به الناس في ذلك هو عبارة عن الزمن وهو أمر محسوس أيضاً، فالشاعر استعار لنا محسوساً لمحسوس، والاستعارة الثانية وهي قوله (**والسَّيفُ مُنتَظِرٌ**) فالانتظار يكون للإنسان وهو أمر عقلي، والسيف وهو يدرك بالبصر فهو محسوس، فالشاعر استعار لنا أمراً معقولاً لمحسوس، والجامع بينهما أمر عقلي وهو الانتظار، وقد أخذ الشاعر الاستعارتين من واقع حياة الإنسان.

ويصف لنا الخلافة في البيت بقوله[٣]:

أُولئكَ أَنْيـابُ الخِـلافَــةِ كُلُّهـا ** وسـائِرُ أمـْلاكُ البِـلادِ الزَوائِـدُ

الاستعارة هنا في قوله (**أَنْيابُ الخِلافَةِ**) فالأنياب هي أسنان الحيوان الأمامية التي يفترس بها وهي محسوسة، فاستعار الأنياب للخلافة، وهي أمر يدرك بالعقل، فالشاعر استعار لنا محسوساً لعقلى، والجامع بينهما أمر عقلي وهو التمكن في كلٍّ ، والشاعر هنا جسّد لنا الخلافة

---

(١) ديوان المتنبي ٢٠٢.

(٢) ديوان المتنبي. ٢٠٢

(٣)المرجع السابق ٢٠٦

في هيئة حيوان مفترس، ثم جعل أنياب هذه الخلافة هم سيف الدولة وأجداده، وقد أخذ الشاعر هذه الاستعارة من عالم الحيوان، الذي نجد فيه القوي والضعيف، والكبير والصغير، والمفترس والوديع.

ويقول أيضاً[١]:

وأَنَّ دَمـاً أَجـرَيْتَـهُ بِكَ فَـاخِـرُ ** وأَنَّ فُـؤاداً رُعْتَــه لَكَ حَامِدُ

نجد الاستعارة في قوله (**وأَنَّ دَماً أَجرَيْتَـهُ بِكَ فَـاخِرُ**) فالفخر هو الاعتزاز بالشئ وهو أمر معقول، والدم وهو أمر محسوس، فالشاعر استعار لنا معقولاً لمحسوس، والجامع بينهما هو الاعتزاز الشديد، وهو أمر عقلي، والشاعر جسَّد لنا الدم في صورة شخص، بأن جعله يفخر ويعتز، وقد أخذ الشاعر هذه الاستعارة من حياة الإنسان، وهنا أيضاً توجد استعارة أخرى في قوله (**وأَنَّ فُـؤاداً رُعْتَــه لَكَ حَامِدُ**) فالحمد وهو الشكر وهو أمر معقول، فاستعار الحمد للفؤاد وهو أمر محسوس، فالشاعر قد استعار لنا معقولاً لمحسوس، وأخذ الاستعارة من واقع حياة الإنسان.

ويصف لنا الحصون التي كان ها الروم فيقول:[٢]:

تَمَلُّ الحُصُونُ الشُمُّ طُولَ نِزَالِنَا ** فتُلْقِي إلِيْنا بأَهْـلِهـا وتَــزُولُ

هنا في قول الشاعر (**تَمَلُّ الحُصُونُ**) استعارة،والملل وهو أمر معقول، فاستعارة للحصون وهي أمر محسوس، فالشاعر استعار لنا معقولاً لمحسوس، والجامع بينهما هو الخروج عن حد الزهق وهو أمر عقلي، والشاعر جسَّد لنا الحصون في صورة إنسان يمل هذا القتال، ولما جعلها تمل ذلك القتال جعلها تلقى أهلها وتزول عن مكانها، وقد استنبط الشاعر هذه الاستعارة من حياة الإنسان.

وأنظر إليه يرسم لنا صورة للمنايا بقوله[٣]:

بَنَـاهَـا فأَعْلَى والقَنَا يَقْـرَعُ القَنَـا ** ومَـوجُ المَنَـايَـا حَوْلَها مُتَلاطِمُ

الاستعارة في قوله (**مَـوجُ المَنَايَـا**) الموج هو تلاطم المياه مع بعضها البعض، فاستعار الموج وهو أمر محسوس، للمنايا وهي أمر معقول، فالشاعر استعار لنا محسوساً لمعقول،

---

(١) ديوان المتنبي ٢٠٦.

(٢) ديوان المتنبي ٢٠٦.

(٣) المرجع السابق ٢٤٥

والجامع بينهما هو الزيادة الشديدة في الشئ وهو أمر عقلي، فقد استطاع الشاعر أن يجسد الموت في صورة حياة ، وزاد على ذلك بأن جعل للموت أمواج، دليل على كثرته، فقد وفق الشاعر في هذه الاستعارة؛ لأنه وصل بالاستعارة إلي الغرض المطلوب وهو إثبات صفات الموج للموت، وفي ذلك يتحدث العلوي عن الغرض من استعارة المحسوس المعقول بقوله(١):(والغرض من هذا إثبات الصفات المحسوسة للأمور المعقولة على جهة الاستعارة)، وقد أخذ الشاعر هذه الاستعارة من الطبيعة، لأن الماء من الطبيعة.

ويصف المتنبي وقوف سيف الدولة في المعركة قائلاً: (٢):

وَقَفْتَ ومَا فِي المَوتِ شُكٌ لِوَاقِفٍ ** كأَنَّكَ في جَفْنِ الرَّدَى وهوَ نَائِمُ

نجد الاستعارة في هذا البيت في قوله (**كأَنَّكَ في جَفْنِ الرَّدَى وهوَ نَائِمُ**) والجفن هو المنطقة السفلى من العين وهو شئ محسوس، فاستعاره للردى وهو أمر معقول، فالشاعر استعار لنا محسوساً لمعقول، والجامع بينهما هو الوجود عن قرب، فالشاعر جسَّد لنا الموت وجعل له جفن، أي أن سيف الدولة قريب من الموت ولكن عبر عن نجاته منه، بأن جعل الردى ينوم عنه، أي أن الموت غافل عنه. وقد أخذ الشاعر هذه الاستعارة من واقع حياة الإنسان، فالشاعر أبدع في هذه الاستعارة؛ لأنه أوضح لنا شيئاً كان غامضاً عنّا وبيِّن أن سيف الدولة لم يصبيه الموت بالرغم من وجوده في منطقة القتال والخطر، ودلَّ بهذا على شجاعته وقوته ومنعته.

ويقول أيضاً(٣):

ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى القَلْبِ ضَمَّةً ** تَمُوتُ الخَوَافِي تَحْتَهَا والقَوَادِمُ

نجد في هذا البيت عدة استعارات، فاستعار الجناحين وهو شئ محسوس لميمنة وميسرة العسكر وهو أمر محسوس أيضاً، وهو استعارة محسوس لمحسوس، والجامع بينهما الضمُّ في كلٍّ، واستعار أيضاً القلب وهو به وهو محسوس فاستعاره للملك وهو محسوس أيضاً، وهذه استعارة محسوس لمحسوس أيضاً، والجامع بينهما هو التوسط، واستعار القوام وهي الريش الذي

(١) الطراز العلوى ٣٣٧/٣.

(٢) ديوان المتنبي ٢٤٦.

(٣) المرجع السابق ٢٤٧.

يوجد في مقدمة الجناح وهو أمر محسوس استعارها للأبطال وهو أمر محسوس أيضاً،وهذه استعارة محسوس لمحسوس، والجامع بينهما التقدم أماماً، والخوافي هي ما خفي من ريش الجناح وهي أمر محسوس، فاستعارها للإتباع من الجنود وهو أمر محسوس، وهذه استعارة محسوس لمحسوس، والجامع بينهما في الخفاء وعدم الظهور.

فالشاعر أخذ كل هذه الاستعارات الرائعة عند المتنبي، لأن فيها مبالغة في وصف ما فعله سيف الدولة بالروم، ورسمت لنا صورة وضحت ما حدث للروم، ووصف أبن رئيس هذه الاستعارات بقوله(١): (هذا تصنيع بديع كله حسن الاستعارات).

وهاهو يجعل من الاستعارة صورة لكثرة سفك سيف الدولة لدماء الروم قائلا (٢):

أَلْقَتْ إِلَيْكَ دِماءُ الرُّومِ طَاعَتَها ** فلَوْ دَعَوتَ بِلا ضَربٍ أَجَابَ دَمُ

الاستعارة في قوله (**أَلْقَتْ إِلَيْكَ دِماءُ الرُّومِ طَاعَتَها**) فقد استعار الطاعة وهي أمر معقول استعارها للدماء وهي أمر محسوس، وهذه استعارة معقول لمحسوس، والجامع بينهما هو الانصياع والانقياد وهو أمر معقول، فقد حشد الشاعر الدم في صورة إنسان وجعله يطيع الأوامر، ويجيب الدعوة، وهذه من فوائد الاستعارة بأنها تجسد لنا الشئ وتجعله يتحرك ويتكلم ويذهب ويأتي وغيرها من الصفات التي لم تكن به، ووصل بهذه الاستعارة إلي تعريف القارئ بقتل سيف الدولة للروم، والدرجة التي وصل إليها هذا القتل؛ ونستطيع أن نقول لما ذكرناه أن الشاعر قد توفق في هذه الاستعارة، وقد أخذ هذه الاستعارة من حياة الإنسان التي يعيشها.

وأنظر إليه كيف صور لنا همم سيف الدولة فيقول(٣):

لَوْ كَلَّتِ الخَيْلُ حتّى لا تَحَمِّلُهُ ** تَحَمَّلَتْهُ إلى أَعْدَائِهِ الهِمَمُ

حيث نجد استعارة في قوله (**تَحَمَّلَتْهُ إلى أَعْدَائِهِ الهِمَمُ**) تحملته وجاءت من الحمل وهو الجسم على أي شئ بغرض نقله من مكان إلي آخر، فاستعار الحمل وهو أمر محسوس، فاستعاره للهمم تلك الصفات الجميلة التي تدفع بالإنسان إلي تحقيق أهدافه، وهذه الصفات مثل

---

(١) العمدة ٢٧٧/١.

(٢) ديوان المتنبي ٢٧٢.

(٣)المرجع السابق ٢٦٩.

الشجاعة والرجولة والصمود وغيرها، وهي أمر معقول، وهذه استعارة محسوس لمعقول، والجامع بينهما هو الوصول بواسطتهما إلي الهدف المقصود، واستطاع الشاعر أن يجسد هذه الهمم في صورة حيوان، جعلها تقوم بجمله إلي هؤلاء الأعداء ولأن همم سيف الدولة عالية، وعزائمه قوية، وإيمانه بالقضية راسخ، فهذه الهمم حملته إلي عدوِّه، وذلك عندما عجزت الخيل عن حمله، وقد أخذ الشاعر هذه الاستعارة من حياة الأبطال والقواد الشجعان.

وهاهو يصف مدينة الحدث بالاحمرار بقوله[1]:

هَلِ الحَدَثُ الحَمْرَاءُ تَعِرِفُ لَوْنَها ** وَتَعْلَمُ أَيُّ السَاقِينَ الغَمَائِمُ

أنظر إلي الاستعارة في قوله (**هَلِ الحَدَثُ الحَمْرَاءُ تَعِرِفُ لَوْنَها**) فاستعار المعرفة وهي تدرك بالعقل، فاستعارها لمدينة الحدث التي تدرك بحاسة البصر، وهذه استعارة معقول لمحسوس، والجامع بينهما هو العلم بالشئ وهو أمر معقول، وهنا تجسيد لمدينة الحدث في إنسان، لأن المعرفة تدرك إما بالحواس أو بالعقل، وهذه كلها تخص الإنسان، ثم بعد ذلك تساءل إذا كانت هذه الحدث تعرف لونها أم لا؟، وقد أخذ الشاعر هذه الاستعارة من حياة الإنسان.

---

(١) ديوان المتنبي ٢٤٥

المبحث الثالث : الكنـايــة:

الكناية عند الجرجاني[١]: "المراد بالكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجئ إلي معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ إليه دليلاً عليه"

فالكناية إذاً هي أن تطلق كلاماً تريد به لازم معناه.

ونتناول الكناية في شعر المتنبي في وصف عند معارك سيف الدولة مع الروم، وتنقسم الكناية باعتبار المكنى والمكنى عنه إلي ثلاثة أقسام هي: الكناية عن الصفة، والكناية عن الموصوف، والكناية عن النسبة.

١/الكناية عن الصفة:

وقد كنى المتنبي عن كثير من الصفات منها: الشجاعة، الكرم، الخوف، كثرة القتلى، الهزيمة، وصفات أخرى سنذكرها في موضعها.

أ/ الشجاعة:

هي أهم صفة لأن الذي يتصف بها يحقق هدفه وينتصر على عدوِّه، لذلك بدأنا بها، ويقول المتنبي[٢]:

ويا أَجْبَنَ الفُرْسَانِ صَاحِبهُ تَجْتَرِئْ ** ويا أَشْجَعَ الشُجْعَانِ فَارِقْهُ تَفْرَقِ

نجد أن الشاعر كُنى عن صفة الشجاعة بقوله(**ويا أَجْبَنَ الفُرْسَانِ صَاحِبهُ تَجْتَرِئْ**) خاطب الشاعر الفارس الجبان فطلب منه أن يصاحب سيف الدولة (فالضمير الهاء في صاحبه يعود إلي سيف الدولة) لأنه إذا صاحبه سوف يصبح شجاعاً، وإذا لم يكن سيف الدولة شجاعاً لم تكن مصاحبته تكسب الشجاعة، فالشطر الأول كناية عن صفة الشجاعة، ونجد أن المكنى هو المصاحبة وهو أمر عقلي، والمكنى عنه هو الشجاعة وهو أيضاً أمر عقلي، فالشاعر عوضنا معقولاً بمعقول، ونجد في قوله (**ويا أَشْجَعَ الشُجْعَانِ فَارِقْهُ تَفْرَقِ**) فقد جعل الشاعر مفارقة الفارس الشجاع لسيف الدولة تكسبه الجبن والخوف، وهذا دليل على شجاعة سيف الدولة، فهذه إذن

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني ص ٥٤.

(٢) ديوان المتنبي ٢٢٢.

كناية عن الشجاعة أيضاً، والمكنى هنا هو مفارقة الشجاع لسيف الدولة، وهو أمر عقلي، والمكنى عنه هو الشجاعة وهو أمر عقلي أيضاً. إذن هذه الصورة عوضتنا معقولاً بمعقول، وقد أخذ الشاعر هاتين الصورتين من أرض المعركة.

أنظر كيف كنى عن الشجاعة في قوله(١):

وصُولٌ إلى المُسْتَصْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ ** فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لأَوْرَدَا

الكناية هنا في قوله (**فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لأَوْرَدَ**) يعني ذلك أن هذه الشمس برغم بعدها لو كانت ماءً لأورد سيف الدولة منها وذلك أنه يصل إلي مرامه مهما بَعد ومهما كان ذلك صعباًن وهذا يدل على شجاعته، إذن فهذه كناية عن الشجاعة، والمكنى هو قوله (**لَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لأَوْرَدَا**) فهو أمر محسوس، والمكنى عنه هو الشجاعة، وهو أمر معقول، فالصورة نقلتنا من عالم المحسوس إلي عالم المعقول، وقد أخذ الشاعر هذه الصورة من الطبيعة.

ويقول في موضع آخر(٢):

ومَا زِلَتَ تُفْنِي السُّمرَ وهِيَ كَثِيرةٌ ** وتُفنِي بِهِنَّ الجَيشَ وهو لِهَامُ

نجد الكناية في قوله (**ومَا زِلَتَ تُفْنِي السُّمرَ وهِيَ كَثِيرةٌ**) يخاطب الشاعر سيف الدولة، وذكر بأنه ما زال يكسر هذه الرماح بالطعن وجعل تكسر هذه الرماح إفناءً لجيش العدو، فكثرة كسره للرماح دليل على كثرة الطعن، وكثرة الطعن دليل على الشجاعة، فهذه كناية عن صفة الشجاعة، والمكنى هنا هو كثر إفناء سيف الدولة للرماح وهذا أمر حسي، لأننا نراه بأعيننا، والمكنى عنه وهو الشجاعة أمر عقلي لأننا لا ندركه بالحواس بل ندركه بالعقل، فالكناية قد نقلتنا من المحسوس إلي المعقول، وقد أخذ الشاعر هذه الكناية من أرض المعركة.

ترك العدو الشام لسيف الدولة، وفي ذلك يقول(٣):

ولَمْ تَفْتَرِقْ عَنهُ الأَسِنَّةُ رَحمَـةٌ ** ولَمْ تَتْرُكِ الشّامَ الأَعادِي لَهُ حُبَّا

---

(١)ديوان المتنبي ٢٣٥.

(٢) المرجع السابق ٢٥٠.

(٣) المرجع السابق ٢١٠.

البيت كله كناية، ونجد في صدر البيت قوله (**وَلَمْ تَفْتَرِقْ عَنهُ الأَسِنَّةُ رَحمَـةٌ**) أي أن الروم كانوا يحملون الرماح في المعركة يريدون قتاله ولكنهم سرعان ما تفرقوا عنه، ولم يكن تفرقهم عه رحمة له، ولكنهم وجدوه قوياً شجاعاً لا يخاف الموت، لذلك تفرقوا عنه، إذن هذا الشطر كناية عن صفة الشجاعة، والمكنى هو تفرق العدو عن سيف الدولة وهو أمر محسوس، لأن التفرق هو الهروب، والهروب يدرك بحاسة البصر، والمكنى عه هو الشجاعة وهو أمر معقول، بتلك الكناية تكون قد نقلتنا من المحسوس إلي المعقول. وفي عجز البيت قوله (**وَلَمْ تَتْرُكِ الشّامَ الأَعادِي لَهُ حُبَّا**) فالعدو قد ترك الشام لسيف الدولة، ولم يكن ذلك حبَّاً له، ولكن كان ذلك بسبب ضرب سيف الدولة لهم، وقتاله لهم، وذلك دليل على شجاعته، وهذا أيضاً كناية عن الشجاعة، والمكنى هو ترك العدو للشام، وذلك برحيلهم عن الشام، وهو أمر محسوس، والمكنى عنه وهو الشجاعة أمر معقول، فالكناية إذن نقلتنا من المحسوس إلي المعقول، وقد أخذ الشاعر هاتين الكنايتين من واقع حياة الروم، فالبيت كله إذن كناية عن صفة الشجاعة.

عن قتل سيف الدولة للروم يقول الشاعر[1]:

وَيَرْجِعُهَا حُمْراً كأنَّ صَحِيحِها ** يَبْكِي دَمَاً مِنْ رَحْمَةِ المُتَدَقِّقِ

الكناية في قوله (**وَيَرْجِعُهَا حُمْراً**) الضمير "ها" في يرجعها يعود إلي الرماح ، إن سيف الدولة يرجع رماحه من الغارات وقد أحمّرت بالدم، فاحمرارها هذا دليل على كثرة الدم المسفوك عليها، وكثرة الدم المسفوك دليل على كثرة القتلى من الروم، وكثرة القتلى من الروم دليل على مواجهته لهم، ومواجهته لهم دليل على شجاعته، فهذه إذن كناية عن صفة الشجاعة، والمكنى هو إرجاع الرماح حمراء اللون وهو أمر محسوس، والمكنى عنه هو الشجاعة، وهو أمر معقول، فالكناية إذن نقلتنا من المحسوس إلي المعقول، وقد أخذ الشاعر هذه الكناية من أرض المعركة.

ويعبر الشاعر عن شجاعة سيف الدولة بطريقة مختلفة فيقول[2]:

وَقَدْ زَعَمُوا أنَّ النُّجُومَ خَوَالِدٌ ** وَلَوْ حَارَبَتْهُ نَاحَ فِيها الثَوَاكِلُ

---

(١) ديوان المتنبي ٢٢١.

(٢) المرجع السابق ٢٤٠.

حيث نجد الكناية في قوله (وَلَوْ حَارَبْتَهُ نَاحَ فِيهَا الثَّوَاكِلُ) فإن النجوم إذا حاربت سيف الدولة لقتلها، فنواح الثواكل على النجوم دليل على موتها، وموتها بيد سيف الدولة دليل على شجاعته، فهذه كناية عن الشجاعة، والمكنى هو نواح الثواكل محسوس؛ لأنه يدرك بحاسة السمع، والمكنى عنه وهو الشجاعة وهو معقول، إذن هو نقلنا من المحسوس إلي المعقول، وقد أخذ الكناية من الطبيعة، وقد وفق الشاعر في هذه الصورة؛ لأنه دل على شجاعة سيف الدولة بقتله كل من يحاربه، ولكن الأجمل بأنْ اختار النجوم من بين جميع الأشياء الأخرى، وذلك لأنها خالدة بخلود الدنيا، وذكر أنها برغم خلودها هذا لو حاربته لناح فيها الثواكل، وهذا أدلُّ على الشجاعة، وأعلى درجة فيها.

ويجمع المتنبي بين صفتين لسيف الدولة في بيتٍ واحد وذلك في قوله[1]:

فأَوْحَدَتْهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ ** وأَغْضَبَتْهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَذَعُ

الصفة الأولى نجدها في قوله (فأَوْحَدَتْهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ) فالضمير في (فأوحدته) يعود إلي سيف الدولة، عندما ترك الخيل سيف الدولة وحيداً لم يقلق، فعدم خوفه وهو وحيد دليل على شجاعته، إذن هذه كناية عن صفة الشجاعة، والصفة الثانية في قوله (وأَغْضَبَتْهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَذَعُ) وكذلك لما أغضبته الخيل، بتقاعد فرسانها عنه، لم يتلفظ بالفحش، فعدم تلفظه بالفحش عند غضبه دليل على حمله، وهذه كناية عن الحلم، فالمكنى في الكناية الأولى هو عدم القلق والخوف عند الوحدة، وهو أمر معقول، والمكنى عنه هو الشجاعة وهو أمر معقول أيضاً فالكناية الأولى إذن نقلنا من معقول إلي معقول، والمكنى في الكناية الثانية وهو عدم التلفظ بالفحش عند الغضب وهو أمر معقول، والمكنى عنه وهو الحلم أمر معقول أيضاً، فإذن هذه الكناية نقلتنا من معقول إلي معقول، وقد اخذ الشاعر هاتين الكنايتين من واقع حياة الممدوح، فالصفات اللتان جمع بينهما الشاعر هما الشجاعة والحلم.

ونجده أيضاً يجمع بين صفتين مختلفتين في بيتٍ واحد في قوله [2]:

ضَرُوبٌ بأَطْرَافِ السُّيُوفِ بَنَانُهُ ** لَعُوبٌ بأَطْرَافِ الكَلامِ المُشَقَقِ[3]

---

(١) المرجع السابق ٢٠٠.

(٢) ديوان المتنبي ٢٢١.

(٣) المشقق: التصرف في المعاني.

الكناية الأولى في قوله (ضَرُوبٌ بأَطْرَافِ السُّيُوفِ بَنَانُهُ) فالذي يضرب بطرف السيف يكون متدرباً عليه مجرباً له، ومداوماً بالضرب به، وهذا يدل على شجاعته، فهذه كناية عن صفة الشجاعة، والمكنى فيها هو الضرب بطرف السيف وهو أمر محسوس، والمكنى عنه هو الشجاعة وهو أمر معقول، إذن الكناية نقلتنا من المحسوس إلي المعقول. والكناية الثانية في قوله (لَعُوبٌ بأَطْرَافِ الكَلامِ المُشَقَقِ)أي أن الذي يلعب بأطراف الكلام ويتصرف في معانيه فهو فصيح، فهذه إذن كناية عن صفة الفصاحة، والمكنى فيها هو اللعب بالكلام والتصرف في معانيه، وهذا يكون مسموعاً فهو إذن محسوس، والمكنى عنه هو الفصاحة وهو أمر معقول لا يدرك بالحواس، فالكناية نقلتنا من المحسوس إلي المعقول، والصفتان اللتان جمع بينهما الشاعر هما الشجاعة والفصاحة.

ب/ الكـرم:

كثيراً ما ربط المتنبي بين صفة الشجاعة وصفة الكرم، وذلك لأن الكرم صفة كثيراً ما تلازم صفة الشجاعة، فأغلبية الشجعان هم كرماء.

فنجده يجمع بين هاتين الصفتين في هذا البيت الذي يقول فيه[1]:

فيَا أيُّها المُطلُوبُ جاوِرْهُ تَمْتَنِعْ ** ويا أيُّها مَحرُومُ يَمِّمْهُ تُرزْقُ

الكناية الأولى في قوله (فيَا أيُّها المُطلُوبُ جاوِرْهُ تَمْتَنِعْ) فجعل في مجاورة الخائف لسيف الدولة امتناع له من ظلم غيره له، وهذا دليل على شجاعة سيف الدولة؛ لأنه منع الظالمين من الوصول إلي من التجأ إليه، فهذه كناية عن صفة الشجاعة، فالمكنى فيها هو امتناع الخائف الذي يجاور سيف الدولة، وهو أمر معقول، والمكنى عنه هو الشجاعة وهو أمر معقول أيضاً، ويكون بذلك قد نقلنا الشاعر من معقول إلي معقول. والكناية الثانية في قوله (ويا أيُّها مَحرُومُ يَمِّمْهُ تُرزْقُ) فجعل الذي يقصد سيف الدولة يصبح غنياً، وهذا يدل على كرمه، فهذه كناية عن الكرم، و المكنى فيها هو غنى الذي يقصد سيف الدولة، وهو أمر معقول، والمكنى عنه وهو الكرم أمر معقول أيضاً، فالكناية نقلتنا من المعقول إلي المعقول، وقد أخذ الشاعر الكنايتين من حياة سيف الدولة.

---

(١) ديوان المتنبي ٢٢٢.

وهو أيضاً يجمع بين تلك الصفتين في بيت واحدٍ حيث يقول فيه(١):

يا من يقتل من أراد بسيفه ** أصبحت من قتلاك بالإحسان

نجد الكناية الأولى في قوله (**يا من يقتل من أراد بسيفه**)، فسيف الدولة يقتل بسيفه كل شخص أراد قتله، وهذا يدل على شجاعتهن فهي إذن كناية عن الشجاعة، والمكنى فيها هو قتل سيف الدولة لمن يريد، وهو أمر معقول، والمكنى عنه هو الشجاعة، وهو أمر معقول أيضاً، فالشاعر إذن عوضنا قولاً بمعقول. والكناية الثانية في قوله (**أصبحت من قتلاك بالإحسان**) قتل سيف الدولة للمتنبي بالإحسان، يعني أنه أغرقه بالأموال، وهذا يدل على كرمه الشديد، وهذه كناية عن الكرم، والمكنى فيها هو أصبحت من قتلاك بالإحسان وهو أمر معقول، والمكنى عنه هو الكرم وهو أمر معقول أيضاً ، فالكناية إذن عوضتنا معقولاً بمعقول، وقد أخذ الشاعر هذه الكناية من حياة الممدوح.

ج/ الخـوف:

كنى المتنبي عن هذه الصفة بكثير من العبارات المختلفة، وهذه الكنايات في النهاية تؤدي إلي شجاعة سيف الدولة.

أنظر إليه كيف عبَّر عن الخوف في هذا البيت الذي يقول فيه(٢):

شَنَنْتَ بها الغَارَاتِ حتَّى تَركْتَها ** وَجَفْنُ الذي خَلفَ الفرنْجَةِ سَاهِدُ

نجد الكناية في قوله (**وَجَفْنُ الذي خَلفَ الفرنْجَةِ سَاهِدُ**) فعدم النوم دليل على الإحساس بالخوف من سيف الدولة، فهذه كناية عن الخوف، والمكنى فيها هو عدم نوم الروم وهو أمر محسوس، والمكنى عنه هو الخوف وهو أمر معقول، فالكناية نقلتنا من المحسوس إلي المعقول، وقد أخذ الشاعر هذه الكناية من واقع هذه المعارك، وهذه عندي من أروع الكنايات؛ لأن المتنبي أعطانا تعبيراً جيداً عن هذه الصورة الزمنية، وذلك إن عبر عن الخوف الشديد بعدم النوم، والأروع من ذلك هو أن جعل هذا الذي لا ينوم خوفاً من سيف الدولة جعله في الفرنجة في أقصى بلاد الروم، فكيف يكون حاله إذا كان قريباً عن سيف الدولة؟.

---

(١) ديوان المتنبي ٢٦٨.

(٢)ديوان المتنبي ٢٠٥.

وعن الخوف أيضاً يقول(١):

وَلَكِنَّهُ وَلَّى ولِلطَّعْنِ سَورَةٌ ** إذا ذَكَرَتْها نَفْسُهُ لَمسَ الجَنْبَا(٢)

حيث نجد الكناية في قوله (**إذا ذَكَرَتْها نَفْسُهُ لَمسَ الجَنْبَا**)، أي أن قلبه امتلأ خوفاً عندما تذكر شدة الطعان الذي شاهده في المعركة، وذلك بعد أن هرب منها، ولم يصدق بأنه سلم منها، فيلمس جنبه، هل هو صحيح أم مطعون؟، وهذه كناية عن الخوف الشديد، ونجد المكنى هو لمس الجنب وهو أمر محسوس، لأننا نراه بأعيننا، والمكنى عنه وهو الخوف أمر معقول؛ لأننا لا ندركه بالحواس، فالشاعر إذن نقلنا من المحسوس إلي المعقول، وقد أخذ هذه الصورة من أرض المعركة، ونجد هذه الكناية أيضاً للذي يقول(٣):

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى ** على كبدي من خشية أن تصدعا

ومعناه أنه يلمس الجاني الذي فيه قلبه، هل يخفق قلبه خوفاً أم لا !؟.

كل من الشاعرين عبَّر عن الخوف، ولكن الخوف عند الشاعر الآخر أكثر؛ لأن الخوف يؤثر على دقات القلب، وقمة الخوف يكون القلب فيه يكاد أن يتوقف.

ويعبر الشاعر عن الخوف بأمر آخر فيقول(٤):

لَهُمْ عَنْكَ بالبِيضِ الخِفافِ تَفَرُّقٌ ** وحَوْلَكَ بالكُتُبِ اللِطَافِ زِحامُ

يكنى الشاعر عن الخوف بقوله (**لَهُمْ عَنْكَ بالبِيضِ الخِفافِ تَفَرُّقٌ**)، فالروم يتفرقون عن سيف الدولة عندما يحاربهم، فتفرقهم عنه في الحرب دليل على خوفهم منه، فهذه كناية عن الخوف، والمكنى فيها وهو تفرقهم عنه في الحرب أمر محسوس، والمكنى عنه وهو الخوف أمر معقول، فالكناية نقلتنا من عالم الحس إلي عالم العقل، وقد أخذ الشاعر الكناية من أرض المعركة.

ويقول أيضاً عن الخوف(٥):

وإذا حَاوَلَتْ طِعَانَكَ خَيْلٌ ** أَبْصَرَتْ أَذْرُعَ القَنَا أمْيَالا

---

(١) ديوان المتنبي ٢١٠.

(٢) سورة : شَّدةً .

(٣)الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين بن محمد القرشي) – تحقيق: إبراهيم الابياري، طباعة دار الكتب بمصر ، ج٥/١٢٧ نسب للصمّة بن عبد الله القشيري.

(٤) ديوان المتنبي ٢٤٩.

(٥) ديوان المتنبي ٢٦٣.

نجد الكناية في قوله (أَبْصَرَتْ أَذْرُعَ القَنَا أمْيَالا)، وفاعل أبصرت هو ضمير مستتر تقديره هي يعود إلي الخيل، والمراد الفرسان الذين يركبون الخيل، والمعنى أن العدو إذا أراد مطاعنة سيف الدولة، رأى رماحه طوالاً، حتى كأنه كل ذراع منها في الميل، وهذا ناتج عن خوفهم الشديد منه، فهذه كناية عن الخوف، المكنى فيها هو تخيل العدو لذراع القنا بأنه ميل وهذا أمر معقول، والمكنى عنه وهو الخوف أمر معقول أيضاً، فالشاعر عوضنا معقولاً بمعقول، وقد أخذ هذه الكناية من أرض المعركة، وهذه كانت رائعة معبرة عن المعنى، فكأن الشاعر أخذ من قول الله تعالى[١] (يرونهم مثليهم رأي العين).

د/ كثرة القتلى:

قام سيف الدولة بقتل أعداد كبيرة من الروم في هذه المعارك، وقد كنى عن كثرة هؤلاء القتلى بكثير من العبارات المختلفة، فأنظر إليه كيف عبر عن كثرة القتلى في قوله[٢]:

وقَدْ سَارَ في مَسرَاكَ مِنْها رَسُولُهُ ** فمَا سَارَ إلاّ فَوقَ هَامٍ مُفَلَّقِ

الكناية في قوله (فمَا سَارَ إلاّ فَوقَ هَامٍ مُفَلَّقِ) حيث سار رسول ملك الروم في الطريق الذي سار فيه سيف الدولة إلي الروم، فلم يسر إلا فوق هام مفلق بالسيوف، فسيره فوق الرءوس المفلقة، دليل على كثرتها ، وكثرتها هذه دليل على كثرة القتلى، فهي إذن كناية عن كثرة القتلى، والمكنى فيها هو السير فوق الهام المغلقة، وهو أمر محسوس، والمكنى عنه هو كثرة القتلى وهو أمر محسوس أيضاً ، لأن كثرة القتلى المقصود بها أن عدد القتلى كبير وهذا يمكن أن نشاهده بأعيننا، فالكناية عوضتنا محسوساً بمحسوس، والصورة أخذت من أرض المعركة.

ويقول في موضع آخر[٣]:

سَقَتْهَا الغَمَامُ الغُرُّ قَبلَ نُزُولِهِ ** فَلَمَّا دَنَا مِنْها سَقَتْها الجَمَاجِمُ

نجد الكناية في قوله (سَقَتْها الجَمَاجِمُ) والضمير الهاء في سقتها يعود إلي مدينة الحدث ، قامت الجماجم مقام المطر في السقيا، ولم يتم ذلك إلا عن طريق كثرة هذه الجماجم، وكثرة الجماجم تدل على كثرة القتلى، فهذه إذن كناية عن كثرة القتلى، والمكنى فيها هو سقي الجماجم

(١) سورة آل عمران ، الآية ( )

(٢) المرجع السابق ٢٢٢.

(١) ديوان المتبني ٢٤٥.

لمدينة الحدث، وهو أمر محسوس، والمكنى عنه هو كثرة القتلى وهو أمر محسوس أيضاً، فالشاعر عوضنا محسوساً بمحسوس، والكناية هنا مأخوذة من أرض الحدث.

وها هو يعبر عن كثرة القتلى بأمر مختلف فيقول(١):

فَتَلَ الحِبالَ مِنَ الغَدائِرِ فَوقَهُ ** وبَنَى السَفِينَ لَهُ مِنَ الصُّلْبانِ

الكناية في قوله (**فَتَلَ الحِبالَ مِنَ الغَدائِرِ فَوقَهُ**) أي أنه – سيف الدولة– صنع الحبال من ذوائب شعر من قتلهم من الروم، وهذا يدل على أن هذه الذوائب كثيرة، وكثرة الذوائب دليل على كثرة القتلى، فهذه إذن كناية عن كثرة القتلى، المكنى فيها فتل الحبال من ذوائب الشعر وهو أمر محسوس، والمكنى عنه هو كثرة القتلى وهو أمر محسوس أيضاً، فالكناية إذن عوضتنا محسوساً بمحسوس، وأخذ الشاعر هذه الكناية من أرض المعركة.

هـ/ الهزيمة :

الهزيمة إحدى الصفات التي كنى عنها المتنبي بجمل مختلفة، فهو يقول(٢):

وكُنْتَ إذا كاتَبْتَهُ قَبلَ هذِه ** كَتَبْتَ إلَيْهِ في قَذَالِ الدُّمُسْتُقِ

حيث نجد الكناية في قوله (**كَتَبْتَ إلَيْهِ في قَذَالِ الدُّمُسْتُقِ**)، فقد جعل الشاعر الجراح بمثابة الكتابة لملك الروم، لأنه عندما يرجع الدمستق إلي ملكه فيجد هذه الجراح فيعرف أنه أنهزم، وجعل الشاعر هذه الجراح في مؤخرة رأسه، وهذا دليل على أنه لم يواجه سيف الدولة بل أراد الهروب فضربه سيف الدولة في مؤخرة رأسه، فهذه إذن كناية عن الهزيمة، والمكنى عنه وهو الهزيمة أمر معقول، فالكناية نقلتنا من المحسوس إلي المعقول، وقد أخذ الشاعر هذه الكناية من أرض المعركة.

ويقول في موضع آخر(٣):

بِوَجْهِكَ ما أَنْسَاكَهُ مِنْ مُرِشَّةٍ(٤) ** نَصِيرُكَ مِنْها رَنَّةٌ وَعَوِيلُ

---

(١) المرجع السابق ٢٦٦.

(٢) المرجع السابق ٢٢٢.

(٣) ديوان المتنبي ٢٢٩.

(٤) المرشة : الهزيمة التي رش الدم.

الكناية هنا في قوله (بِوَجْهِكَ ما أَنْسَاكَهُ مِنْ مُـرِشَّةٍ) فالهاء في أنساكه تعود إلي ابن الدمستق، أي أن بوجه الدمستق ضربة أنسته ابنه وشغلته بنفسه، لأنه هرب، فهروبه دليل على هزيمته، وهذه إذن كناية عن الهزيمة، المكنى فيها هو جراح الدمستق التي أنسته ابنه، وهو شئ محسوس، والمكنى عنه وهو الهزيمة أمر معقول، فالكناية نقلتنا من عالم الحس إلي عالم العقل، وقد أخذ الشاعر هذه الكناية من أرض المعركة.

٢/ الكناية عن الموصوف:

وقد كنى المتنبي في هذه القصائد عن سيف الدولة وعن الشتاء.

عن سيف الدولة يقول(١):

وَفَارِسُ الخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ فَوَقَّرَهَا ** في الدَّرْبِ والدُّمُ في أَعْطَافهِ دُفَعُ

فجملة الكناية في قوله (وَفَارِسُ الخَيْلِ)، والمقصود بها الصفات التي نجدها في الفارس مثل الشجاعة والإقدام والهزيمة وغيرها، وأراد الشاعر بهذه الصفات سيف الدولة، فهذه إذن كناية عن موصوف وهو سيف الدولة، والمكنى هنا هو فارس الخيل وهو أمر معقول، لأن تلك الصفات المقصودة تدرك بالعقل لا بالحواس، والمكنى عنه هو سيف الدولة وهو محسوس، لأننا نستطيع أن نراه بالعين، فالشاعر نقلنا من المعقول إلي المحسوس، وأخذ هذه الكناية من أرض المعركة.

ويكنى عنه في موضع آخر بقوله(٢):

إنَّ دُونَ التي عَلَى الدَّرْبِ والأَحْ ** دَبِ والنَّهْرِ مِخْلَطاً مِزْيَالا

نجد الكناية في قوله (مِخْلَطاً مِزْيَالا) والمخلط هو الرجل الذي يخلط بين الجيشين، والمزيال هو الذي يميّز بينهما، وهذه الصفات تدل على الشجاعة، وأراد بكل ذلك سيف الدولة ، فهذه إذن كناية عن موصوف وهو سيف الدولة، والمكنى فيها هو المخلط المزيال وهو أمر معقول، والمكنى عنه هو سيف الدولة وهو محسوس، فالكناية نقلتنا من المعقول إلي المحسوس.

وعن الشتاء بقوله(١)

---

(١) المرجع السابق ٢٠٠

(٢) المرجع السابق ٢٦٤

أخُو غَزَوَاتٍ ما تُغِبُّ سُيُوفُـهُ رِقَابَهُم إلاَّ وسَيْحَانُ جَامِـدُ

الكناية في قوله(وسَيْحَانُ جَامِـدُ)، وسيحان هذا نهر، وجمود هذا النهر إنما يكون في فصل الشتاء، فهذه إذن كناية عن موصوف وهو الشتاء، والمكنى هو جمود نهر سيحان وهو أمر محسوس، والمكنى عنه هو الشتاء وهو أمر معقول، فقد نقلنا الشاعر من المحسوس إلي المعقول، وقد أخذ هذه الكناية من طبيعة هذا النهر.

٣/ الكناية عن النسبة:

أما النوع الثالث من أنواع الكناية وهو الكناية عن نسبه فلم نجد له مثالاً في قصائد المتنبي في وصف معارك سيف الدولة مع الروم.

نخلص من هذا الفصل إلي أن المتنبي، قد ربط لنا بين المعاني والصور التي استخدمها في وصف هذه المعارك وقربها إلي مفهومها ووضحها لنا أكثر، وأيضاً جسَّد لنا المعاني العقلية في صورة محسوسات، وأضفى على بعض المحسوسات نوعاً من الحركات والأصوات التي لم تكن موجودة بها، وعبَّر لنا تعبيراً جيداً عن بعض الصور الذهنية.

---

(١) ديوان المتنبي ٢٠٦.

الخاتمة والنتائج

انتهى من هذا البحث بعدة نتائج أهمها أن المتنبي استطاع تصوير المعارك بين سيف الدولة والروم تصويراً دقيقاً وقد زاد من ذلك الابداع طبعه ونفسه التي تميل إلى القوة وصدقه في التصوير، وقد اتصف جيش سيف الدولة بالقوة والإقدام والبسالة أمام المعارك التي خاضها ضد الروم، وكان السلاح المستخدم في تلك المعارك هو السيوف والرماح، وكان سيف ا لدولة يفضل السيف؛ لأنه سلاح الشجعان.

تعددت مقدمات قصائد المتنبي في وصف هذه المعارك، بوصفه للمعركة مباشرة دون تمهيد أو تقديم، إلا في قليل من هذه القصائد التي بدأها بالغزل والنسيب، وقد اهتم المتنبي بالتخلص اهتماماً شديداً، وكان تخلصه من النوع السهل، وكان يختتم هذه القصائد في الغالب إما بذكر النصر أو بالحكمة التي اشتهر بها.

استخدم المتنبي خمسة بحور فقط في هذه القصائد، وهي أكثر بحور الشعر استخداماً من قبل الشعراء وهي: الطويل، البسيط، الكامل، الخفيف، الوافر، ومن الملاحظ أنه استخدم بحر الطويل في أكثر هذه القصائد.

وقد استخدم المتنبي الصور البيانية في وصفه لهذه المعارك أحسن استخدام وأكثر الصور التي استخدمها هي التشبيه والاستعارة والكناية.

وأيضاً من النتائج قوة الشاعرية عند المتنبي في هذه القصائد، وكان تعبيره قوياً ودقيقاً ،فكان المتنبي قوياً في عباراته ومعانيه ،وأخيلته وبدائع افتتانه، ولا يكاد أن يسبقه في هذا الميدان أحد من الشعراء العرب حتى اليوم ،وقد قامت أقواله للسامع مقام أفعالها ،حتى يظن أن الفريقان قد تقابلا ،والسلاحين قد تواصلا.

وقد تميز المتنبي عن كثير من الشعراء في الوصف وقد تمكن المتنبي من استخدام الدلالات اللغوية والبيانية.

فهرس البلدان

١. الدرب: بلد معروف من بلاد الروم وهو المدخل إلى بلاد الروم.
٢. الزّان: حصن من بلاد الآرمن.
٣. آمد: لفظة رومية، وهي بلد قديم حصين مبني بالحجارة السود على دجلة . محيطة باكثره مستديرة به كالهلال.
٤. اللقان: بلد بالروم وراء خرشنة بيومين.
٥. الحدث: قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش.
٦. الأحيدب : موضع وقيل اسم الجبل الذي عليه قلعة الحدث.
٧. حران: مدينة بالشام.
٨. خرشنة: بلد بالروم.
٩. سمنين: بلد بالروم.
١٠. عرقة : مدينة بالشام.
١١. منبج: مدينة بالشام.
١٢. موزار: بلد بالروم.
١٣. مرعش: مدينة كان سيف الدولة جدد بناءها.

المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم.

٢- أبو هلال العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري)- الصناعتين- تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم- طباعة ونشر دار الفكر العربي- الطبعة الثانية.

٣- أو الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين بن محمد القرشي) الأغاني – تحقيق إبراهيم الأبياري ،طباعة دار الكتب بمصر.

٤- ابن رشيق (ابن علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي) العمدة- دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة- بيروت، الطبعة الخامسة.

٥- ابن الأثير (ضياء الدين بن الأثير) المثل السائر- تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، طبعة ونشر مطبعة نهضة مصر ، الطبعة الأولى.

٦- ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف للنشر – مصر.

٧- ابن جني (عثمان بن الفتح) الفسر، تحقيق د. رضا رجب، دار الينابيع للنشر، دمشق، الطبعة الأولى.

٨- ابن الاقليلي (أبو القاسم إبراهيم بن محمد) شرح شعر المتنبي، تحقيق مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر – بيروت ، الطبعة الأولى.

٩- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر ، طباعة ونشر مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة.

١٠- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني) الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل، مطبعة عيسى الباب الحلبي للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة.

١١- الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني) أسرار البلاغة – تحقيق السيد محمد رشيد رضا –طباعة المكتبة التوفيقية أمام الباب الأخضر – سيدنا الحسين.

١٢- الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني) دلائل الإعجاز- تحقيق محمود محمد شاكر- القاهرة – طباعة مطبعة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع

١٣- العلوي (يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني) الطراز، راجعة وضبطه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر ، بيروت: لبنان.

١٤- العكبري (أبي البقاء العكبري) شرح ديوان أبو الطيب المتنبي، ضبطه وصححه مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، بيروت – لبنان ، دار المعرفة للطباعة والنشر.

١٥- ديوان المتنبي ،دار صادر– بيروت ،الطبعة الثانية .

١٦- زكي المحاسن، شعر الحرب في أدب العرب، مصر دار المعارف للطباعة والنشر، مصر.

١٧- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، القاهرة – مطبعة دار المعارف للطباعة والنشر، الطبعة الثانية.

١٨- طه حسين : مع المتنبي، مصر دار المعارف للطباعة والنشر.

١٩- عبد الله الطيب، المرشد إلي فهم أشعار العرب وصناعتها، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الثانية.

٢٠- عباس حسن: المتنبي وشوقي، دار المعارف للطباعة، مصر.

٢١- محمد مندور : الأدب وفنونه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة.

٢٢- محمود محمد شاكر: المتنبي، طبع بمصر، القاهرة.

٢٣- محمد عبد الرحمن شعيب: المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر.

٢٤- يوسف البديعي: الصبح المنبئ عن حيثية المتنبي، مصر تحقيق مصطفى السقا، محمد شتا، عبد زياد، دار المعارف للطباعة،.

٢٥- يوسف حسين بكار: بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء الحديث، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

فهرس المحتويات